روايات عالمية للفتيان

رعشة من خوف



رعشة من خوف

املين روبرتس

ترجمة: نيران اسماعيل ناجي

فريق التوثيق الألكتروني
محمد رضا مهدي
أسعد علوان حسين

رعشة من خوف
تاليف املين رو برنتس
ترجمة نيران اسماعيل ناجي
الطبعة العربية الاولى ١٩٩١

الناشر وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد بريد ٨ شباط ص ب ٨٠٤١

رعشة من خوف

سلسلة روايات عالمية للفتيان
تصدر عن دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير التحرير فاروق يوسف

الفصل الأول



كان «ترانس فيتزباترك» يعرف باسم «فزر» بين أصدقائه وفي أحد الأيام كان «فزر» حائراً فيما يختار من الطعام للفطور، حتى وقع اختياره على **رقائق** البطاطا، وللمرة الثانية في غضون ذلك الأسبوع . ثم، فتح باب المطبخ بقوة ودخل والده وهو يتمايل .

قفـز«فزر»، وسقطت رقائق البطاطا ، وصرخ : «أبي !»
كانت والـدتـه ماتزال في ملابس النوم ، استدارت عن المغسلة التي كانت تقف أمامها وصرخت؛ «اوه ، آرثر!»
كان ذلـك الـرجـل ذو الوجه الرمادي ، تعتليه الجروح والأوسـاخ، ويرتدي بدلة ضابط عسكري ممزقة وقذرة، وكان قد آتكا على الحائط ليسنده ، حتى إن فزر»لم يصدق أن هذا الرجل هو والده .
صرخت والـده «فـزر» مرة أخـرى : «اوه، أرثـر، ماذا حدث؟» ومـدت ذراعها لتسند زوجها، وتقوده ليجلس على الكرسي .
وكرر فزر السؤال: «مالآمر ياأبي؟»
ـ «أرثر، وجهك ينزف دماً ، أيها المسكين العزيز!»ولمست السيدة «فيتزباترك»بأناملها وجه زوجها .
جلس الـضابط «فيترپـاترك» ومسح وجهه بيده ببطء ثم حدق على زوجته وآبنه بنظرات متعبة وواهنه، وتنهد تنهداً عميقا ، وقال بسأم :
ـ مشـاكـل، مشـاكل : هاجم «ذوو الرؤوس الخفية ، وجـماعـة «المشاغبين الزنوج في شارع شكسبير، فأشعلوا الحـرائق ونهبـوا مانهبوا، وأنا أقف في الوسط حائراً بين

الـطرفـين قاطعـه «فـزر»وقال بلهفة : «هل أنت مصاب ياوالـدي؟ فأجـابه والده : إصابتي ليست أسوا من بقية رجالي ، لكنها إصابة على كل حال ، انظر الى هذه وأراهم خوذتـه ، منبعجـة وتعتليهـا الأوساخ . تلمس بأصابعه الانبعاج ، وقال موضحاً
ـ« هذا بسبب طابـوقة ، من حسن حظي أني انحنيت عندما رأيت أحدهم يقذفها تجاهي ، ولولم أنحن لتلقيت الضربـة بكاملها ، ولكانت فيها نهايتي . لكنّ الطابوقة أصابتي بطريقة غير مباشرة . »
احتضنته زوجته وقالت :
ـ «مالذي يحدث في العالم ؟»
ـ «هل أمسكت بالرجل الذي رمى الطابوقة ، ياوالدي؟»
ـ «كلا ، فقد سقطت أرضاً لكني لن أنسى بسرعة وجهه الشرير، ولحيته الحمراء . ساتذكره ، وسأنال منه ولو في آخر يوم من عمري . »
ـ «سـأحضر لك الفـطور، ياحبيبي ، وبعـده خذ حماماً حاراً ، ثم نم نوماً عميقاً . »قبلت السيدة «فيتز باترك»رأس زوجها ثم تذكرت «فزر» والمدرسة فقالت :
ـ«هيا يا«فـزر» ، تنـاول فطورك ، فالمدرسة في انتظارك .

ستتأخر عنها إن تباطأت في الأمر»

نظر «فزر»الى الساعة، ووجد أن لديه متسعاً من الوقت، وأنه لن يتأخر عن المدرسة . لكن لماذا القلق على المدرسة هكذا، ووالده مصاب؟

تناول «فزر» رقائق البطاطا في حين أعدت والدته البيض والشاي لزوجها . اكمل فزر فطوره، ونهض من المائدة فقالت له والدته:

- «لاتنس نقودك»

-«كلا، ياوالدتي.»

تقدمت والدته نحوه لتقبله، فأغلق فزر» عينيه، وقطع تنفسه، وحمد الله على انها قبلته في داخل الدار وليس خارجها بمشهد من الناس. ثم اكملت حديثها قائلة:

- لاتنس أن تعود الى البيت مباشرة بعد انتهاء الدوام، ولا داعي للتجوال في شارع شكسبير فلا أريد أن تختلط بأحد من «ذوي الرؤوس الخلفية»

ومن دون أن يعطي «فزر»أي رد بالرفض، بالموافقة ودع والديه، ووضع يده حول كتف أبيه، وقال:

- أنت بخير، أليس كذلك ياوالدي؟»

ابتسم والده وقال: أنا على مايرام الأن. لاتحزن من أجلي



، أنا على مايرام، تمتع بيومك في المدرسة.»

بحث «فزر»عن كرته في الدولاب تحت السلالم، ثم أخذ يطبطب عليها واستمر في اللعب حتى بلغ فناء البيت رأى «زافر جومين» ذا الوجه الداكن والشعر الأسود اللامع، خلف السور. وبضربة سريعة من قدمه، قذف بالكرة عالياً فوق السور، ليصدها«زافر» يصده، ثم بقي

«زافر»يضرب الكرة بقدمه نحو ركبته ثم الى قدمه وهكذا من دون أن يسقط الكرة فقال «فزر» :

ـ «أنت تتحسن كثيراً يازافر ، كم كم ضربة أكملت؟»

ـ «لم أحبها»؟ أجاب «زافر»وناول الكرة الى «فزر» .

وبقي كل منهما يناول الكرة للآخر طوال الطريق ،حتى التقيا بـ «تومو ثومبسن»الطويل الهزيل، عند المنعطف .

ثم سمع الثلاثة صوت «وسلي ونكايت»يناديهم ، فانتظروه حتى انضم اليهم .

سألهم «فزر» : «هل سمعتم عن الاشتباكات التي دارت؟

فرد عليه وسلي : «كلا ، أين حدثت؟»

ـ حدثت الليلة الماضية ، في شارع شكسبير اشترك والدي فيها وأصيب باصابة ليست بليغة جداً . وشعر فزراً بالفخر بوالده .

واستمر الاصدقاء الأربعة يتدربون على مهاراتهم في لعبة كرة القدم طوال الرصيف المزدحم ، يناول الكرة أحدهم للآخر دقيقة ، بين أصحاب المحلات ، والتجار الذين يكنسون الأرض أمام محلاتهم .

عندما دخلو شارع شكسبير ، كانت هناك دلائل كثيرة على ماحدث من أعمال شغب في الليلة المنصرمة .

إذ وقفت جماعات من الناس تتحدث ، وقام اصحاب بعض المحلات بإكساء وجهات محلاتهم المنكسرة بالألواح الخشبية ، وسدت اكوام من الزجاج المكسور بالوعات الطريق ، ووقف رجال الشرطة مثنى مثنى في زوايا الشارع .

استدار الأربعة ، دخلوا شارع بورشيا» . وعند نهاية ذلك الشارع الذي قامت على جانبه بيوت مطلية من مختلف الألوان ، لاحت مدرستهم الابتدائية . كانت مدرسة كبيرة وقديمة ، مبنية من الطابوق ، ويحيط بملعبها سور عال . فبدت وكأنها سجن . وعلى سور المدرسة كتب أحدهم بالطلاء في أثناء الليل ، شعاراً بخط كبير ، وغير واضح «أيها الزنوج عودوا لموطنكم ،وأبقوا بريطانيا بيضاء» شعر «فزر»بالحرج عندما رأى ذلك ، وألقى نظرة خاطفة على زافر وسلي . ولم يبد على أحد منهما أنه قد لاحظ الشعور لكن «فزر» كان متأكداً من أنهما لاحظاه .

إذ كانت على مقربة منهم مجموعة من الامهات ،يتحدثن من دون توقف ، وأطفالهن يقفزون ويرددون الكلمات لذلك كان من المستحيل ألا ينتبها الى الشعور وكان«جونسي» العجوز، حارس المدرسة يحاول ،

وبلامبالاة ، غسل الطلاء ،لازالته لم يفهم «فزر» سبب المشاكل التي يقوم بها الناس ضد الزنوج . كان يعرف أن بعضهم يكره الزنوج ، قرأ في بعض الصحف المحلية عن بعض الهجمات ضدهم . كان كثير منهم يسكنون في تلك المنطقة ، ويرسلون أطفالهم الى مدرسته نفسها ولم ير «فزر» فارقاً كبيراً بينهم وبين الأطفال الانكليز حالما يتعود المر على طريقتهم في الكلام . وعلى أي حال ، كان كثير منهم من أمثال «زافر» وسلي» قد ولدوا في بريطانيا ، وكانو يتكلمون الانكليزية كما يتكلمها أي طفل بريطاني ، وماذا سيكون حال فريق كرة القدم في مدرسة بورشيا الابتدائية من دونهم ؟ منْ دونهم سيندحر إذن تماماً .

وعندما دخلوا من بوابة المدرسة سدد «فزر» رمية بالكرة الى ابعد زاوية من ساحة المدرسة ، ثم ركضت «بام شورتر» الشقراء ، خلف الكرة وضربتها لتسجل هدفاً .

ركضت «بام» تجاه الاصدقاء الاربعة وهي تلوح بقبضة يديها مبتسمة ، وعندما انضمت اليهم قالت :

ـ« مارأيكم بتلك الضربة؟»

فصرخ تومو: «هدف جيد»

وأضاف زافر قائلاً : «سنجعل السيد لوفتهاوس يضمك الى

فريق المدرسة لكرة القدم»

كانت «بام» كابتن فريق المدرسة لكرة السلة ، وأفضل هدافة في الفريق ، متفوقة على أولاد كثيرين في لعبة كرة القدم . إذ مهارتها ، وعزمها ، فضلاًعن طريقة شق طريقها بين اللاعبين . وعدم مبالاتها بالكدمات ، كل ذلك قد جعلها مقبولة من قبل الاولاد لتلعب معهم كرة القدم في ساحة المدرسة .

واستمر الأولاد يلعبون بالكرة ، ويراوغون بين الأطفال حتى قذف وسلي بالكرة عاليا ، ثم دفعتها هبة من الريح نحو خلف البوابة الحديدة المؤدية الى القبو ، وهبطت الى الداخل .

«زافر» الذي كان قريبا من القبو ، لوّح بيده مشيراً الى أنه سيحضر الكرة . فتح البوابة الحديدة ، واختفى أسفل السلالم ثم سمع الأطفال صوت الصفارة فتوقف الجميع عن اللعب ، وتحول ضجيج الساحة الى سكون تام .

وقف السيد «لوفتهاوس» عند باب البناية ثم صعد السلم يحمل صفارة بيده . وعندما يكون «لوفتي لوفتهاوس» هو المسؤول عن ساحة المدرسة والاصطفاف ، لايتلكأ أحد من الطلاب أو يحدث أي ضجة . إذ يقفون

عنـد سماعهم أول صفـرة في أمـاكنهم تار كـين كراتهم تتدحرج حتى يسمعوا الصفرة الثانية ، التي يأتي صوتها حالما يرضى لوفتي ويقنع بالهدوء .

ثم جاء صوت الصفارة الثاني ، وإصطف الأطفال كل واحد منهم مع طّلاب صفّه، بعد أن جمعوا كراتهم، او لوّحـوا بأيديهم لأصدقائهم ليلتقطوها ، إذلايتجرا أحد على المشاغبة بعد سماع صوت صفارة «لوفتي» .

تجمـــع «فـزر»، و«تـومـو»، و«سـلي»، و«بـام»في آخـر الاصطفاف، وهم يشعرون بأن عيني «لوفتي» تراقبانهم ،ثم قال«طلاب الصف الرابع، انضموّا الى صفكم ، ألا تعرفون ماهو الأصطفاف المستقيم؟

كان «فزر» يقف الى جانب بام في آخر الاصطفاف كان يشعـر بقـرب ذراعهـا من ذراعه وقد منحه ذلك شعوراً مفرحاً . إذ كان يعترف لنفسه بأنه كان يحب أن يقف الى جانبهـا، ولـو انه لم يكن ليعترف بذلك لاحد ولوتحت أقصى تعذيب و«بام هي الفتاة الوحيدة التي تعطيه هذا الـشـعــور من بين الـفـتيات الأخــريات في مدرســة «بورشيا»الابتدائية . كانت «كاتيى» ، «لويس»لابأس بهما لكن بام»كانت أفضل منهن جميعاً .

ثم تذكر «فزر» صديقه «زافر» وأدار برأسه ليبحث عنه . لكن أين هو؟ وعلى نحو بطيء ملأت صفوف الاطفال السلالم، ثم جاء دور صفه، ولا أثر ل«زافر» موجود

ـ «أين «زافـر»»؟ وأين كرتي؟ صرخ «فزر» بصوت عال نظرالأطفال حولهم تعلو وجهوهم علامة استفهام ، هزوا اكتافهم غير مبالين .

تحرك صف «فزر»نحو أعلى السلالم . وقبل أن يغلق الباب خلفه ألقى النظرة الاخيرة على الساحة . لكن لاأثر لزافر في أيّ مكان .



فتح «زافر» الباب الحديديّ في أعلى سلالم القبو، ونزل راكضا ، لكنه لم يجد أثراً لكرته هناك . كان باب القبو مفتوحاً ، وفكر زافر» : ربما تكون الكرة قد تدحرجت الى الداخل ـ فدخل تفحص المكان تشوق ، إذ لم يدخل القبو من قبل .

كان المكان عبارة عن ممر صغير، يقع في نهايته باب مفتوح وكان الى يمين «زافر» جدار أبيض تعلقت عليه مكانس ، المنظفين وممسحاتهم ،والى يساره كان هناك باب مغلق ، مطلي بالون الاخضر، مكتوب عليه «الحارس» . وأضيء الممر بمصباح صغير في أعلى السقف، مغطى بالتراب، ونسيج العنكبوت .

وفكر في نفسه، ربما تدحرجت الكرة عبر الباب المفتوح أمامه، والتي كتب عليه «آحذر» . فوقف متردداً على عتبة الباب ثم دخل .

كانت الحجرة هي حجرة«السخان» ، حارة ومليئة بالبخار الذي آثار أنف «زفر»، وقد انتصب الى يساره سخان كبير تلألأت في داخله النار الحمراء، والتي كانت تشعّ من خلال الشقوق حول باب النار. وتوهج في داخل البسخان رماد حار. والى جانب السخان كانت توجد كومة كبيرة من الفحم. وانتصبت امام «زافر» منضدة كبيرة عليها مجموعة من الأدوات، وتحت المنضدة صُفت دلاء التنظيف بطريقة عشوائية وصفت على الحائط مجموعة من المجارف وفرش التنظيف ، وألواح من الخشب، وكلها كانت سوداً بسب السخام .

دخل « زافر»بحذر، إذ تذكر ماكان مكتوباً على الباب ـ أحـذرـ وتجنب لمس أي من تلك الاشياء الوسخة التي تحيط به. وعندما دخل، كانت الأرض مكسوة بالتراب، فأحدث حذاؤه صوت سحق.
توجه زافر الى باب آخر مقابل له فتحه، فوجد سلالم تؤدي الى ممر في داخـل بنـاية المـدرسـة نفسهـا وأدرك أن من المستحيل أن تكـون الكـرة قد صعدت هناك، فاغلق الباب بهدوء.
نظر «زافـر»حـولـه في القبـو، وشعـر بأنـه مكـان رائـع للاستكشاف. ثم سمع صوت «السخان »وبدا له وكأنه صوت معدة مارد تمضغ الطعام، وبعدها أطلق السخان قعقعة، عندما بدأ الجهاز الآلي بداخلة بالاشتغال فقفز «زافـر» خوفاً. ثم شعر بشي ناعم يدغدغ أذنه، نفضه بسرعة، وكان خيطاٍ من خيوط العنكبوت، أسود اللون مثقـلاً بالسخـام، وكـان قد تدلى من السقف ليسقط بهدوء. وعندما نظر الى الاعلى، وجد كثيراً من الخيوط، كلها متدلية فوقه، تتحرك مع تيار الهواء الحار.
حدق «زافر»من خلال الظلام خلف السخان، فوجد باباً آخـر، كان من الصعب على أي أحـد أن يجده، لكنَّ

شعاعاًخافتاً من الضوء كان يشعّ كنجمة شاحبة من خلال فتحه المفتاح.
تقدم زافر نحو الباب ناسيا كرته، تردد للحظات قبل أن يضع يده على سقاطة الباب. ثم رفعها بسهولة، وبدفعة خفيفة فتح الباب. فوقف زافر وهو يفكر! أيّ عذرٍ يمكن أن اختلقه إذا أمسك بي «جونسي؟! ثم فتح الباب على مصراعيه ودخل، ثم أغلقه خلفه بهدوء.
وجـد زافـر نفسـه داخـل ممر ضيف ذي سقف متقوس كالنفق، وشـعّ ضوء خافت من مصبـاح على السقف. كـانت جدران الممـر تعتليها الاوساخ، وكساها تراب أسـود اللون ورصت، على جانب الممـر، اكداس من صنـاديق علب معـدنية تحتـوي على ملمـع الارض، ورؤوس جديدة للمكانس، وحزم من أكياس القمامة البلاستيكية.
توجه «زافر»الى الأمام ناسياً الكرة والدروس.
وكـانت على يمينـه ممرات أخـرى اكثـر وساخة، ومليئة بالكـراسي والرحلات القديمة المكسرة وسبورات قديمة وصـور قديمـة ذات إطـارات باليه لفرق كرة القدم، ومجموعات من الطلاب، وكانت وجوه الطلبة عابسة على



الرغم من أنهم يحملون جوائز كان «زافر» حائراً بين مشاعر غريبة تحثه على التراجع وبين شعور الفضول يدفعه الى الامام وتمنى لوكان معه «فزر» والاخرون. وتسلل على اطراف اصابعه تجاه ضوء ما، وتساءل في نفسه عن الرائحه التي كانت تملأ المكان ، إذ كانت تذكره بشيء .

رأى «زافر» سريرين صغيرين يستعملان في الرحلات، وعليهما بطانيتان مجعدتان بنيتان . وكان يوجد الى جانب السريرين كرسي قديم ، ذو حشوة من خرق بالية، ظهرت من خلال ثقوب فيه وكانت الى جانب الكرسي منضدة صغيرة كتلك التي توجد في صفوف الروضة، لكنها كانت مكسورة.

ووجد عليها قنينة من الحليب وفتاتاً من الخبز ،وكؤوساً معدنية. وكان المنظر يوحي بأن شخصاً مايعيش هناك.

حك «زافر» رأسه وتساءل: من الذي يسكن في قبو مدرسة ؟

انبعثت الرائحة المألوفة بأقوى من قبل ، وكان مصدرها صندوقاً في زاوية الحجرة لقناني شراب قديمة وأيقن «زافر» من دون شك، بأن الرائحة هي رائحة بنزين.

وومضت في ذهنه صور من اخبار التلفاز عن المخربين في منطقتي «توكستث» و«بركستون»، صور لأوجه مليئة بالحقد ، وأذرع مرفوعة، وقبضات أيدٍ تحمل قناني، ترمى وتنفجر بلهب . وبرعشة من خوف أدرك«زافر» أن شخصاً مايصنع قنابل من البنزين في قبو المدرسة.

اقشعر جسد «زافر» وود لوأنه لم يأت الى القبو، وود لوكان مع«فزر»والأخرين في داخل الصف يدرس بأمان.

ـ«أمسكت بك!» صرخ صوت خشن في أذن زافر، وأمسكت ذراع قوية «بزافر»من الخلف في حين طبقت يد ذات رائحة كريهة باحكام على أنفه وفمه، وجعلت التنفس والصراخ شيئاً مستحيلاً.

حاول «زافر جاهداً أن يحرر نفسه من المهاجم الذي لم يره، وهو يرفس بقدميه على الساقين اللتين يعرف أنهما خلفه في مكان، لكن من دون جدوى. فقد كان في قبضة رجلاً رجل قوي. كاد «زافر» يختنق، فتوقف عن الصراع.

أزال الرجل يديه عن «زافر»، ودفعه ليسقط على أحد السريرين وهو يلهث خائفاً. وقال له الرجل:

ـ «لقد أدخلت نفسك في مشاكل، أيها الزنجي.

لاتتحرك إنجاً واحداً وإلاّ ضربتك بهذه»ولوح الرجل في وجه«زافر» بلوح خشبي.

لزم «زافر»الصمت ولم يتجرأ حتى ان على أن يرمش بعينيه إلى أن نزل الخشبة وود زافر» بجد، لو أنه لم يغامر بالدخول الى القبو.

كان آسر «زافر» متوسط الطول، ذا بنيةٍ قوية، ولحية حمراء، وشعر مقصوص وقصير جداً أما جلده فكان خشناً ويميل الى الاحرار، وبدا وجهه وكأن بثوراً قد انتشرت فيه من قبل كان يرتدي بنطلون من الجنز قديماً ومرقعاً وسترة مقاتلين. أما لهجته فلم تدل على أنه من سكان تلك المنطقة واعتقد «زافر» أن اسره لابد من أنه كان مختبئاً في إحد الممرات الجانبية التي رآها.

وقبل أن يتفوه أي منهما بكلمة، سمع صوت أقدام قادمة ولاح للبصر جونسي مع رجل آخر، طويل وضعيف، يرتدي قبعة من الصوف. وملابس كتلك التي يرتديها ذو اللحية الحمراء. صرخ «جونسي»:

ـ «ماذا حدث؟»

أجابه ذو اللحية الحمراء وماذا تعتقد، أيها الابله؟ لقد شقّ أحد الاطفال طريقة الى هنا! أعتقد أنك قلت: إن هذا المكان آمن؟»

أجاب «جونسي»: «إن المكان آمن بالفعل، وأنا أقفله دائما لابد من أنك تركت الباب غير مقفل، فلا تلمني! أن القبو ممنوع دخوله من قبل الاطفال. وهو مكان آمن إذا بقي الباب مقفلاً.

فقال «ذو اللحية الحمراء» مزمجراً: «لاتجادلني! وانتبه، عليك أن تنفذ الأوامر بأكملها».

أطلق «جونسي» سيلاً من الشتائم، يلعن فيها الأطفال وخصوصاً طلاب مدرسة «بورشيا» الابتدائية، وكل السمر والشقر والزنوج وخصوصاً «زافر». وكان يهز بقبضة يده تحت أنف «زافر» مع كل شتيمة قوية وجديدة.

- «ماحدث سيعرقل الامور بمافيه الكفاية، لقد رأى كل شي «دمدم» ذو القبعة الصوفية

وقف الرجال الثلاثة حول زافر في شبه حلقة متوعدين، مهددين في ظلام القبو الدامس.

- «نعم» لقد رأى كل شيء، ورآنا نحن أيضاً» أكمل ذو القبعة الصوفية» حديثه، وهو يخرج دخان سيكارة من أنفه ثم نظر الى زميليه وقال: «هل تعرفان ماذا يعني هذا؟ هل تعرفان؟

قال «ذو اللحية الحمراء» وهو يضرب قبضة يده على راحة يده الأخرى بحركة من الغضب ولأحباط: «بأمكانه التكلم. ويمكن أن يخبر الشرطة عنا، ويضع المنظمة بأكملها في خطر، وستذهب كل مخططاتنا سدى.

- «سأتاكد من أنه لن يتكلم» هدد «ذو القبعة الصوفية»



وعيناه تلمعان بجنون.

- «تقصد..؟» ولم يكمل «جونسي» سؤاله هز ذو القبعة الصوفية رأسه بعبوس وقال: وماذا تهمّ زيادة طفل زنجي واحد أونقصانه لن يقلق أحد كثيراً على فقدانه، أليس كذلك؟ فالعالم مليء بهم. سأتخلص من بعض منهم، وسأبدأ من الان»

وضع يده في جيبه، وعندما أخرجها سمع «زافر» طقطقة.

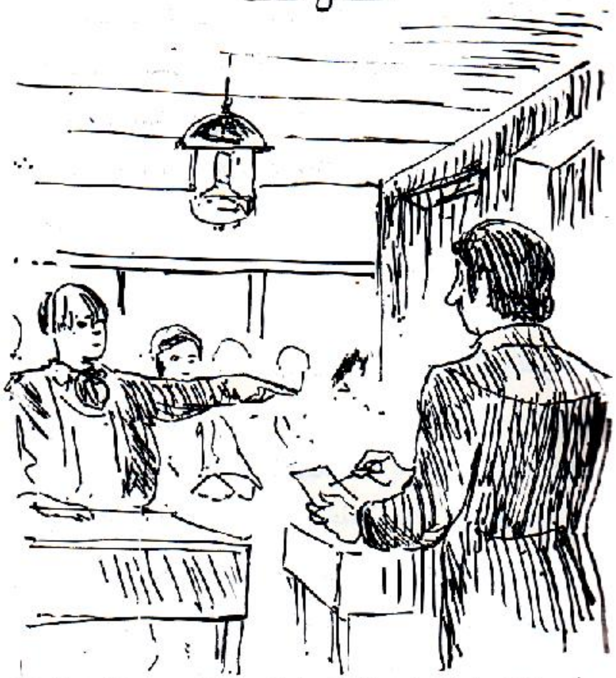
ووميض شيء مافي عتمة الضوء الخافت، ثم برقت سكين في وجهه،
ـ« انتهى أمرك، أيها الزنجي المتطفل الشيطان ورفع السكين ليضعها على حنجرة زافر» بطريقة مرعبة.
تحرك ذو اللحية الحمراء: بسرعة، وقبض على اليد المرفوعة، والسكين بقبضته الكبيرة. ثم أمره:
ـ «توقف عن هذا العمل! لاتقتله الآن! أناسا قرر لاحقاً والآن.. اهدأ».
كاد زافر» يتقيا من الخوف وبقي الرجال الثلاثة يحدقون فيه ثم أمر ذو اللحية الحمراء جونس قائلاً:
ـ هل لديك حبل؟»
ذهب الحارس وهو يتهادى في سيره ثم عاد، ومعه حبل قيدوا ساقي «زافر» وذراعيه. وأدخلوا قطعة من القماش في فمه، ثم سدوا فمه.
قيدوا «زافر» «كرزمة» بريد، وتركوه متمدداً بطريقة غير مريحة على السرير. وكان زافر يلاحظ تحركاتهم عندما استداروا، ليتحدثوا بهمس. وبعد دقائق استداروا نحوه، ازال «جونس» قطعة القماش من فمه وسأله:
ـ «ماذا كنت تفعل في داخل القبو؟»

أجابه «زافر» بهمس مرتعش: «كنت أبحث عن الكرة»
ـ «كرة؟ أية كرة؟» تساءل «جونسي»
فأجابه «كرة تدحرجت الى أسفل سلم القبو»
ـ «لايمكن للكرات أن تتدحرج الى هنا، أيها الكذاب»
فأوضح «زافر» بوهن «كنت أبحث عنها حسب»
بالرغم من أنهم لم يقتنعوا تماما بتفسيره غير أنهم ساروا نحو الباب برأسهم «ذو اللحية الحمراء» وذكر «جونسي» قائلاً:
ـ «وماذا بشأن إغلاق فمه؟»
فأجابه «جونسي» بثقة: «لايمكن لأحد أن يسمعه وهو هنا، فلا جدوى من صراخه.. إن صرخ»
ثم غادروا القبو، وأقفلوا الباب خلفهم.
بقي «زافر» في القبو خائفا في أي موقف وضع نفسه؟ فقد أوصله فضوله الى فخ. فالآن هو أسير رجال قساة اشتركوا، ومن دون شك، في أعمال الشغب التي حدثت في الليلة المنصرمة. والقنابل التي يحضرون كشفت عن أنهم مستعدون لأفعال أسوا من الشغب. ولن يمنعهم أي شيء عن.. ولم ولم يتحمل «زافر» مجرد التفكير بالموت.

تذكر «زافر والديه، إنهما لايعرفان أنه الان أسير، اذ يتوقعان أنه يحضر الدروس بسعادة مع أصدقائه في الصف الرابع ل. وفكر فيهما، وهما مشغولان في محلهما، يخدمان الزبائن مُبتسمين بين روائح الأعشاب الشرقية والبهارات، ويتبادلان ، مع أصدقائهما، الأخبار والطرائف غير مدركين مأزقه المرعب . ثم فكر في أخته الصغيرة «روهيا» وفي عينيها الكبيرتين اللتين تشرقان وتشعان بالفرح حين تستقبله بعد عودته من المدرسة ترى هل سيراهم جميعا مرة ثانية؟

تيبست حنجرته وبدأت تؤلمه ، ومن بين جفنيه المطبقين، سالت دمعتان لتسقط على خديه.

الفصل الثالث



جلس تلاميذ الصف الرابع ل في رحلاتهم ، وانهمكوا في كتابة التمارين التي كتبها الأستاذ «لوفتي» على السبورة، ليشغل التلاميذ وليسود الصمت، في حين يملأ دفتر الحضور، ويبيع للتلاميذ بطاقات لتناول الطعام في مطعم المدرسة.

كانت عيناه تفتشان في الصف عن التلاميذ الغائبين، وهو يملأ دفتر الحضور ثم قال: زافر؟ . .زافر. .هل يعرف أحد منكم شيئاً عن «زافر»؟

رفع «فزر»يده وقال «من فضلك ، ياأستاذ!»

- نعم ياتيري»

- «لقد جاء «زافر» اليوم الى المدرسة، ولعب معنا في الساحة، لكننا لم نره منذ أن نزل الى القبو.

عبس لوفتي».عندما سمع ذلك إذكان دخول القبو ممنوعا على التلاميذ ثم قال: «القبو؟»

- «ذهب ليجلب الكرة ياأستاذ».

- أيه كرة؟ لاتتكلم بالألغاز!»

- «ضربت الكرة - من دون قصد - فسقطت داخل سلالم القبو وذهب «زافر»ليجلبها، ولم نره منذ ذلك الحين .

«ألم يذهب أحد منكم ليبحث عنه؟

-«كلا فقد سمعنا صفارتك في الوقت الذي نزل فيه الى القبو. وأنت دائماً تقول لنا يجب أن نقف بهدوء في أماكننا عندما نسمع الصفارة.

فكر الأستاذ«لوفتي »قليلا ثم سأل:

- «هل يوجد تلميذ آخر يعرف شيئاً آخر عماحدث؟

أجابه «تومو»و«بام» و«وسلي»في وقت واحد بأجوبة تؤيد كلام «فزر»، فهز«لوفتي»رأسه عندما أخذ بنظر اعتبار اقوال التلاميذ، وقال: -

- إنه لأمر غامض. اذا لم يظهر «زافر» بعد انتهاء التجمع . فسيكون من الأفضل أن نجري التحريات عنه»

وبعد دقائق اصطف التلاميذ أمام باب القاعة مستعدين للدخول فيها والتي كان السيد بوتس يقف على المنصة فيها امتلأت بالتلاميذ والمدرسين، وجلس الجميع في الأماكن المخصصة لهم وكان التلاميذ يتحركون بضجر، ويحلمون ببرامج التلفاز ويمعنون النظر في اللوحات الفنية ولوحات الخط للتلاميذ والتي علقت على جدران القاعة نظر الاستاذ «بوتس»بقسوة من خلال نظارته، وهو يبحث عن مصدر للكلام وعدم الانتباه، ثم قال بصوت عال :

- صباح الخير»

وبعد أن جاءه الردّ، امرهم بالجلوس ثم بدأ حديثه:

- لابد من أنكم سمعتم عن الأعمال اللااخلاقية التي حدثت الليلة الماضية في هذه المنطقة . بعضكم لابد من أن يكون قد رأى أعمال العنف والشغب. والبعض الآخر لابد من أن يكون قد سمع عنها إن مايحدث حولنا هو

من الأمور المخزية . ومن يستطيع أن يصدق أنه ، وفي هذه المدينة الجميلة«نورجستن» ، يوجد أناس عديمو التفكير، يكـرهون الأخرين لمجرد أن لون بشرتهم يختلف عنهم ، ويوجـد مجـرمـون يكسرون الشبـابيك، ويسرقون ، ويخربون الممتلكات العامة ، ويعتدون على رجال الشرطة» .

توقف الأستـاذ«بوتس»عن الحديث لحظة وذلك ليمنح التلاميذ وقتا للتفكير في فداحة هذه الأعتداءات ثم أكمل حديثه :

ـ أنا حريص جداً على ألاّ يتورط أحد منكم بهذه الأعمال . ولاأريد أن أسمع عن أيّ تلميذ من هذه المدرسة أنه قد اشترك في الاشتباكات . يجب أن تعودوا مباشرة الى البيت بعـد انتهـاء الدوام، ويجب أن تبتعدوا، وتتجنبوا تلك الطرقات، لئلا تجلبوا سمعة ردئية لمدرستنا الحسنة السمعة»

وبعد فترة قصيرة من الصمت تنبه التلاميذ الى أن الاستاذ «بوتس»بأنتظار ردمنهم فأجابوا بالاجماع : ـ نعم ياستاذ

وعاد الأستاذ«بوتسي» ليكمل حديثه :

ـ«يوجد في مدرستنا تلاميذ من مختلف الاجناس الأبيض

والاسمـر، والملون ، ويمكننـا جميعـاً أن نحيا ونعمـل بسعادة ونكون أصدقاء لنمض بهذا الطريق ولنعط للكبار مثالا جيداً ، هل هذا ممكن؟

فرد التلاميذ «نعم ياستاذ بوتسي»

ـ حسن ، تذكروا ماقلته! خصوصاً اذا كان بعض أولياء الامور من السخف بحيث يجعلونكم تخرجون ليلاً ، وتشاركون في أعمال الشغب ابتعدوا عن مناطق الاشتباكات!

وبعـد فترة من الصمت إذكان بانتظار الهدوء، التام يعم القاعة قال : «قيام»! . . انصراف! فانصرف ثلاثمائة طفل كل الى صفه .

جلـس تلاميذ الصف الـرابـع ل في رحلاتهم، في حين «فزر»امام منضدة الاستاذ «لوفتي»حتى جاء وسأله :

ـ«ماذا تريد«ياترى»؟

ـ ماذا بشأن «زافر»ياستاذ؟ »

ـ اوه ، نعم «زافـر»، لم يعـد إذن، حسن الآن أكمـل التـمارين التي على السبورة في حين اذهب لأتحدث مع الأستاذ بوتس»

وعنـدمـا خرج «لوفتي»من الصف. سأل «سلي»التلاميذ

بقلق :
«أين تعتقدون قد ذهب «زافر»؟
أجابه «تومو» : «ربما شعر بالمرض، وعاد للبيت»
فقال «فزر» : أنا لاأتمنى ذلك ، فكرتي معه :
وعندما عاد الاستاذ«لوفتي» قال :
ـ «الاستاذ «بوتس»يريدك في مكتبه ياترى. وأرى من الافضل أن يذهب معك «تومو»، «وبام»، وسلي» خرج التلاميذ الاربعة من الصف فرحين مبتسمين لانهم سيغيبون عن الدرس لفترة. وخارج الصف ، أطلقوا ضحكاتهم فرحاً ،
طرقت «بام» باب مكتب المدير بجرأة ووقف الأربعة في أماكنهم بانتظار كلمة «آدخل!»
كان الأستاذ «بوتس» جالساً في خلف مكتبه، ماداً ذراعيه ليمسك بهما حافتي المكتب .كان ذا شعر خفيف، تلمع بينه فروة رأسه ومن خلف عدسة نظارته السميكة كانت عيناه تتحركان من جانب الى آخر بتفحص. كان «بوتس» نادراً مايبتسم وإذا ضحك الأخرون،فكل مايفعله هو أن يكشر عن أسنانه كما يفعل الذئب في قصة «ليلى والذئب» دخل التلاميذ الأربعة، وكأنهم ملائكة ، وشكلوا صفاً

منتظماً أمام مكتبه إذ كان «بوتس» مولعاً بالصفوف المنتظمة نظر اليهم بدقة من اليسار الى اليمين «فزر» و«بام» «وتومو»، و «سلي» .
«حسن، أريد أن تدخلوا في صلب الموضوع ، ولا داعي لذكر التفاصيل سمعت أن «زافر جومين» قد اختفى من المدرسة، ماذا تعرفون بشأنه؟
أخذ «فزر»على عاتقه سرد ماحدث، فقص على المدير حكاية الكرة التي سقطت في القبو ، وكيف ذهب «زافر» لأحضارها ،ولم يعد بعد ذلك . وهز الثلاثة الأخرون رؤوسهم مؤيدين قصة «فزر» ثم أكمل فصة قائلا : «ولم نره منذ ذلك الحين ، يااستاذ» فكر«بوتس»لحظة ثم قال :
ـ «من الأفضل أن تذهب الى القبو، وتخبر «جونس» بأني أريد التحدث اليه»
اندفع الأربعة نحو الباب، ثم سمعوا «بوتس» وهو يقول بحدة«انتظروا! لاتذهبو جميعاً!فواحد منكم يكفي اذهب أنت ياترى فيتزباترك»
خرج «فزر»بسرعة ووقف الثلاثة الأخرون بقلق في مكتب الاستاذ بوتس» لوكان في مزاجه الطبيعي لوجه لهم بعض الاسئلة عن الرياضيات أو الأملاء نظرت «بام» الى الجوائز

التي حازها فريق كرة السلة ، وهي تلمع على الرف في زاوية المكتب ونظر الاخرون الى اعمال الفنية التي أعجبت الأستاذ «بوتس» والتي عرضها في حجرة مكتبه، ليراها وليعلق عليها أولياء أمور التلاميذ ، والمفتشين وموظفو وزارة التربية الذين يزورون المدرسة. أما السيد «بوتس» فاتصرف للنظر في الأوراق التي امامه ثم سمعوا طرقة على الباب ، فعادت افكارهم المتجولة، وقال المدير: ادخل !» دخل «جونسي»، ومن خلفه «فزر»وقال بنبرة صوت يحتفظ بها فقط للمدير والمسؤولين: «هل طلبتني. ياأستاذ بوتس؟» ووقف الى جانب المكتب ،وهو يبتسم بتملق وكأنه متشوق للقيام بما سيطلب منه المدير. رفع بنطلونه ليستقر أعلى كرشه ، وهو ينتظر المهمة التي سيكلفه بها ، وتمنى ألا تكون لها علاقة بالأطفال.

«جونسي» أنا قلق بشأن تلميذ لم يصل الى صفة على الرغم أن الأطفال قد شاهدوه في المدرسة»هز الحارس رأسه ، قبل أن ينهي المدير حديثه، وهو يقول:

ـ«يوجد مئات الأطفال في المدرسة ولن. . »

وأكمل المدير حديثه، وكأنه لم يقاطعه:

ـ«آخر مرة شاهده الأطفال، حين كان ينزل الى القبو قبل

بدء الدوام

ـ «كلا، لم ينزل أحد من التلاميذ الى القبو .

دمدم الاطفال معارضين قول الحارس ،وقالوا.

ـ«بل نزل الى القبو ، لقد رأيناه

قطب جونسي واختفت ابتسامته المتملقة

ـ«أستاذ «بوتس، أنت تعرف أن الأطفال لايمكن الاعتماد على اقوالهم ، فهم يخطئون دائماً»

تغير وجه الحارس فجأة، وكأنه تذكر شيئاً ما، وضرب رأسه بيده، وكأنه يعاقب نفسه لأنه لم يفهم القصد:

ـ آه، تذكرت الأن، تعني الطالب الزنجي؟

وانتصب المدير وقال بحدة: زنجي؟»

فقال «جونسي»: معتذر «آسف، أقصد رأيت طالباً ملوناًينزل الى القبو خلف كرة ، لكنه عاد حالاً

ـ«عاد الى الملعب؟»

ـ« نعم ».

فقال «فزر»باندفاع: «لايمكن أن يكون قد عاد ، فقد كنا في الملعب بانتظاره»

فقال جونسي: «إنهم كذابون ياسيد بوتس»وبعد أن لاحظ الغضب على وجه المدير ،أصلح قوله :ـ

ـ أقصـــد أنهم مخـطئـون . أنت تعلم أنهم يخلطون الأمور» نظر الاربعة كل منهم الى الأخر ، وفهم كل واحد منهم مايفكر فيه الأخر إذ لم يعد «جونسي عدو الأطفال حسب بل هو كذاب أيضاً .

قطب المدير، وقال شكراً يا«جونسي» يمكنك الانصراف الآن ثم وجه حديثه الى التلاميذ وقال:

ـ لقد فاتكم معظم الدرس . سننظر في هذا الامر لاحقاً .

عاد الأطفال الى صفهم ، وهم يدمدمون بغضب قال «فزر» :

ـإنه كذاب ، ولانعرف سبباً لكذبه»

ـ«لكن لماذا الكذب، لماذا يكذب «جونسي» العجوز بشأن موضوع كهذا؟ سألت «بام» وهي تفكر .

لم يجد الثلاثة الأخرون جواباً مقنعاً .

وفي حجرة مكتب المدير، حك المدير رأسه بحيرة ، وهو ينـظر الى الجـدار المقـابـل له . هل يمكن أن يكون قد مرض«زافـر»فجـأة، وعـاد الى البيت؟ أم انه هرب من المـدرسة؟ نظر الى ساعته، وكان يكره أن يعكر أي شي روتينه»اليومي إذ لولا هذه المشكلة لقضى الوقت في النظر في الأوراق الخاصة بالمدرسة والعمل . تلمس جيبه بحثاً

عن حبوبـه الام المعدة، ثم أخرج من درج مكتبه دفتراً بأرقام هواتف أوليا الأمور. سوف يرفع عن نفسه مسؤولية اخفاء «زافر» من دون تأخير سيخبر السيد«جزمين» واذا لم يكن «زافـر» في البيت اوفي المدرسة فسوف ينصح والده بتبليغ الشرطة لماذا يتصرف الاطفال هكذا لوأنهم يدركون مايسببـــونـه من متـاعب ، .وقلق لما فعلوا ذلـك وشعـر بوتس»بحاجة الى حبة أخرى من حبوبه الام المعدة .



تجمع «فزر» و«سلي» ، «وبام» . و«تومو» في أثناء الفرصة في زاوية الملعب وأيديهم في جيوبهم لم يكن فقد الكرة أمراً اعتيادياً إذلم يبق لديهم مايفعلونه لكن ماكان يزعجهم حقاً هو اختفاء «زافر» فدار بينهم النقاش الآتي :

تومو: «هل تعتقدون أن «زافر»قد صعد من القبو ولم نره ،

كما قال جونسي؟

فزر: وإذا فعل ذلك حقاً، فلماذا لم ينضم الينا في اصطفاف؟

وعلى أي حال ، أين هو الآن؟»

تومو: «ربما عاد للبيت

بام : «أوهرب من المدرسة؟

وسلي : لايمكن أن يكون قد هرب فهو يحب المدرسة؟

بام: ربما توعكت صحته»

فزر: «لايمكن أن يعود للبيت ، وكرتي معه أليس كذلك ؟» وسلي : «أنا متأكد من أن «جونسي»العجوز كذاب»

فزر: «إنه فعلاً كذاب. أنا أعرف أنه يكرهنا جداً لكن لماذا يكذب من دون داع ؟

بام : «ماذا لو أن «زافر قد آختطف ؟»

فزر: «كفي عن ذلك الكلام ،لابد أنك تشاهدين التلفاز كثيراً»وعندما رأى خيبة الأمل على وجه بام،

ندم فزر على ماقاله .

تومو: يمتلك والد «زافر» محلاً صغيراً لبيع البقول، وهو ليس «بمليونير»كي يدفع فدية كبيرة



بام: اذا لم يظهر عند تناول الطعام ، فاعتقد أن أحداً يجب أن يخبر الشرطة»

وسلي: «نعم، سنشترك في الاستجواب شهوداً وثبتت صحة قول«بام إذ في منتصف درس لوفتي للاستيعاب، دخل الاستاذ «بوتسي» الى الصف الرابع ل لمعرفة ماإذا «زافر»قد عاد كانت عيناه تحدقان في كل مكان من الصف

، إذ لم يكن يحب أن يغفل عن المخالفات ثم قال وملؤه الأمل:

-«لابد من أن يكون «زافر»قد شعر بتوعك صحته ، فعاد للبيت ، إذ توجد أمراض كثيرة منتشرة لكنه لم يكن قد وصل إلى البيت اتصلت بذويه قبل فترة قصيرة وبالطبع ، كان والداه قلقين جداً عليه ، ولم يستطيعا تفسير تصرفه هذا . وقد اقترحت على السيد «جومين»أن يتصل بالشرطة ، إذا لم يظهر «زافر»بعد قليل .

انتبه الجميع الى كلمة «الشرطة»ونظر كل واحد منهم الى الآخر بحواجب مرفوعة، وكان يمكن لأي شخص أن يسمع همساتهم في الصف ،وهم يكررون الكلمة بنبرة تساؤل شرطة! . .شرطة» ربما سيصلون المدرسة؟ ويسألونهم، ويدونو ن أقوالهم في محاضر الشرطة. . ويحذرونهم من أن جميع أقوالهم سيؤخذ بها أدلة . . ربما ستنشر أسماؤهم في الصحف . . وربما يظهر على شاشه التلفاز.

انتهى درس الأستيعاب بلا فائدة ، إذكانت افكار التلاميذ بعيدة عن الدرس ،تتخيل مايمكن أن يكون قد حل «بزافر»ومهما حاول «لوفتي»أن يلهم التلاميذ حضور

الذهن غير ان تشوقهم للدرس كان قد تلاش واعتقد أن المدير كان غير عادل بقطعه الدرس الذي كان يسير بنجاح قبل حضوره

●●●

كان تلاميذ الصف الرابع ل متجمعين في القاعة مشغولين بدرس الرياضة البدنية عندما جاءت سكرتيرة المدرسة السيدة «براون» تشق طريقها وسط الاجساد التي تقفز وتلعب تحدثت بهمس مع الاستاذ «لوفتي»ثم سمع التلاميذ صوت صفقة حادة ،لم تكن عالية جداً لكنها كانت تكفي لجعلهم في أماكنهم . نظر الجميع الى لوفتي بانتظار ماسيقوله .

- «فزر»و«سلي» وتومو»، وبام ارتدوا ملابسكم واذهبوا الى مكتب الاستاذ «بوتسي بسرعة»

فساله فزر: «لاي سبب، ياأستاذ؟»

فأجابه «لوفتي» بايجاز: «الشرطة ، فانتبهو لاقوالكم»

- يستجوبوننا وقال «وسلي بتشوق وهو يلوى قسمات وجهه وكأنه يخشى أن يضحك أصدقاؤه ثم قال «فزر» : « إني أتساءل : ماإذا كان ابي معهم »وبعد لحظات تذكر أن والده قد عاد للبيت قبل فترة قصيرة بعد مهمة الليلة

المنصرمة ، ولابد من أن يكون الان غارقا في النوم .

أبدل الأربعة ملابسهم، وساروا تجاه مكتب الأستاذ «بوتسي» ولوحوا بأيديهم لأصدقائهم المشغولين بدرس الرياضة البدنية وسمعوا تعليقات أصدقائهم بمرح . . نراكم في المحكمة .·. سته شهور في الاقل. ليقينهم بانهم ابرياء .

تمتعوا بهذه التعليقات وواصلوا سيرهم تجاه مكتب المدير. بدا على الاستاذ «بوتسي الجد والوقار، وهو يجلس خلف مكتبه. وجلس الى جانب المكتب، وقرب الشباك، ضابط شرطة وشرطي وهما يرتديان البدلة الزرقاء. قال المدير

- ادخلوا ، هنا شرطيان يودان معرفة كل ماتستطيعون «قوله عن اختفاء «زافر» .

بدأ الظابط بالتحدث اليهم بطريقة ، أغضبت «بام»لأن نبرة صوته كانت مناسبةللأطفال الصغار، وليست لتلاميذ الصف الرابع، إذ قال: «والان ياأطفال، من الذي سيقص علي ماحدث؟»

نظر الأصدقاء الى «فزر»ليأخذ على عاتقه مسؤولية التحدث لان كرته كانت سبباً في اختفاء «زافر». وكان على

وشك أن يفتح فمه عندما قاطعه «بوتسي» قائلا للضابط هذا تري فيتزباترك ربما تعرفون والده فهو أيضا ضابط في الشرطة . »

ـ«نعم»قال الضابط، ورفع حاجبيه ثم نظر الى الشرطي وقال:

ـ« لابـد من ان يكـون والـده آرتـر فيتـزبـاتـرك ، في الأشتباكات التي حدثت بالأمس» .

هزَّ فزر رأسه ،وكان مسروراً لأنهما عرفا والده، وعرفا أنه لعب دوراً مهماً في مخاطرة الليلة الماضية قص عليهما كل مايعـرفـه عن اختفاء زافر(وكان الشرطي ذو الشارب، الذي حنى رأسه، وكانه لص مكسيكي، يُدون اقواله في دفـتر صغـير وأدلى الأخـرون بأقـوالهم ،وكـانت مطابقة لأقوال «فزر» .

ثم سألهم الضابط : «هل قال «زافر»أولمح في كلامه إلى كونه مريضا ؟

ـ «كلا» أجابه الأطفال

ـ هل كان غير سعيد في البيت أو في المدرسة؟

ـ «كلا »

ـ «هل تحدث يوماً عن الهروب من المدرسة؟»

ـ «كلا» .

كانت جميع أجوبة الأطفال بكلا» تحير الشرطيان وشعر بأن في الأمر لغزاً . ثم استدار الضابط الى الأستاذ «بوتسي» وقال:

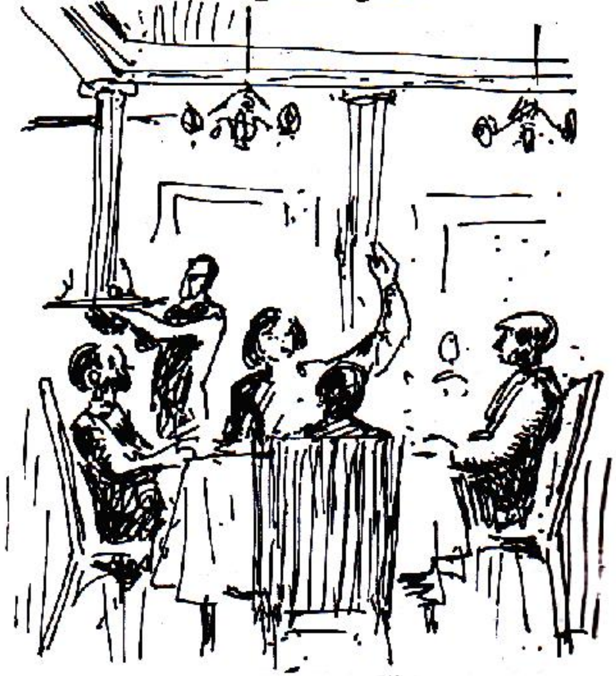
ـ«هذا كل مانحتاجه غير أن كلامه كان يشف عن أن هذا ليـس كل مايحتـاجـانـه فعـلاً ثم أكمـل حديثه: «نحن مشغـولـون جدا بمشـاكـل التفـرقة العنصرية في شارع شكسبـير ، وجميعنا نعمل وقتا إضافياً، لقد سئمنا من اعـمال الشغب، والتوجه للشرطة في كل مشكلة صغيرة كانت أم كبيرة . والان طفل مفقود!! فقد كانت لديهم مهمات أخرى اكثر أهمية من إضاعة وقتهم في أمر طفل تغيب عن المدرسة من دون عذر . اكد المدير للشرطيين تعـاطفـه معهـما. نهض الجميع، وقال الضابط قبل أن يسلم على المـدير ويغـادر: «ستخـبر دورية الشرطة بهذه المعلومات ليكونوا على استعداد للبحث عنه إذا سمعتم أي شيء عنه، أرجو الاتصال بنا في الحال، وشكراً على تعاونكم معنا» .

بعد أن خرجا فكر المدير لحظة ثم قال للاطفال:

ـ«عـودوا الى دروسكم في الحـال لقـد أضعتم كثـيراً من

الوقت» عاد التلاميذ الى الصف الرابع ل وقد خاب ظنهم فالاستجــواب . . لم يكن طويلاً ومثــيرا لم يكن هنــاك مخبرون ومحققون ولم يأخذوا حتى بصمات أصابعهم .

الفصل الخامس



بعد أن انتهى الاطفال من تناول طعامهم في قاعة الطعام في المدرسة ، قالت «بام»

- عندي فكرة»

- «هــوراه!» صرخ الأخــرون بطريقــة مازحه ، ثم قال تومو: «العقل الموجه عنده فكرة!

طلب منها «فزر» بنفاذ صبرٍ قائلا : هيا قولي ماهي فكرتك!

ـ أظن يجب من الواجب علينا أن نعيد ترتيب أحداث الجريمة ، كما يفعلون في التلفاز . »

ـ وكيف ستجعلين زافر» يختفي مرة أخرى؟ فهو لم يعد بعد سألها «وسلي»

ـ أنتم أغبياء ، يمكننا أن نضرب كرة حرة أخرى الى خلف الباب الحديدي للقبو، ونرى أين تتدحرج الكرة ، ربما يعطينا مفتاح اللغز.

ـ« السيدة شارلوك تمتلك مقدرة عقلية كبيرة قال «تومو»

ـ«لنستعر كرة ونر ماذا يحدث . قال«فزر وذهب تجاه التلاميذ في الملعب. وفجاة لاحظ تلاميذ من الصف الثاني أن كرتهم قد أخذت. اعترضوا بغضب لكن من دون جدوى:

ـ أعد الكرة!»

ـ سأستعيرها لدقائق»

ـ لكنها ليست كرتك»

وهنا صرخت «بام» : «اصمتوا!»

أمسك «فزر» بالكرة فوق رأسه ، وتبعه الأطفال الصغار



غاضبين ،وهم يقفزون محاولين الامساك بالكرة. وقف قرب سلالم القبو، وقذف بالكرة عالياً ، لتسقط على السلالم. وبقفزات متواصلة وصلت الى أسفل السلالم ،وارتطمت بالباب الأخضر للقبو.

ـ هذا ليس جيدا، قال تومو»

ـ لابد من أن الباب كان مفتوحاً هذا الصباح،والا لعاد

«زافر» بالكرة في الحال»قال «فزر»
وفي حين كان«فزر» يدلي بفكرته ، اندفعت بام» كالسهم الى أسفل السلالم ، فتحت الباب ، وأعادت الكرة، وخرجت: «حاول مرة أخرى!»
أمسك «فزر بالكرة بين أيدي الصغار من الصف الثاني الذين كانوا على وشك البكاء ، وهم يهددون باخبار المدير ثم قذف الكرة مرة أخرى.
هذه المرة، تدحرجت الكرة من خلال باب القبو، تبعتها «بام ومن خلفها «فزر»و«تومو»، و«تومو» و«وسلي» يتبعهم صاحب الكرة وهو يبكي وتجمع أصدقاؤه في الغرفة الصغيرة التي توجد فيها المكانس والممسحات ووقفوا امام غرفة السخان إذاستقرت الكرة هناك ، تحت المنضدة القديمة، أمام دلاء التنظيف قالت«بام »باقتناع : «اذا كان البابان مفتوحين هذا الصباح ، فهذا هو المكان الذي استقرت فيه الكرة»
وعندما رآها صاحبها أخدها فوق واختفى مع اصدقائه صاعدين السلالم ، فرحين بنصرهم المفاجىء
نظر «فزر» واصدقاؤه من خلال العتمه ، فرأوا السخان الكبير، والشعلة المتوهجة بين شقوق باب النار، وكومة

الفحم ، اكداس من الخرده»
ـ لايوجد أي أثر ل«زافر»ولاللكرة قال «وسلي»
ـ «اعتقد من الافضل أن نعود ، فالسيد لوفتي»سوف يطلق صفارته في أية لحظة»قال فزر
وهذا ماحدث بالضبط ، فصعدوا، والحال الى الملعب.
قالت بام باصرار ماأزال اعتقد أن«زافر»قد اختطف
فقال«تومو»: اش . . . . اش. . اسكتي ، استاذ«لوفتي »يراقبنا»
وقف الجميع في صف مستقيم ، نظر اليهم «لوفتي لكنه لم يقل شيئاً



قام مراقبو درس الرسم والأعمال بترتيب الرحلات في اثناء استراحة فترة الطعام . فوضعوا الرحلات جنباً الى جنب وغطوها بأوراق جرائد قديمة ، ووضعوا عليها علباً من الألوان، ودلاء صغيرة للماء ، وأوراق الرسم وفرش التلوين وأدوات للرسم والنحت، وعلباً من طين وكلها

كانت تدل على الاهتمامات المختلفة لتلاميذ الصف الرابع ل. وانتشرت هنا وهناك تماثيل ورسوم من مختلف انواع ، وعلى مراحل مختلفة من العمل كان الجو حياً بأحاديث الاطفال إذ كان الاستاذ «لوفتي يسمح للتلاميذ بالتحدث اثناء درس الرسم والأعمال. وتحرك الاطفال في الصف يحملون الفرش أو أدوات النحت وهم يتحدثون ويتشاورن معاصدقائهم أو يوجهون النصح والارشادات بشان الاخطاء في أعمالهم .

كان فزر سعيد بالصورة التي رسمها لكابتن فريق انكلترا لكرة القدم، وكان قد استلهم صورته هذه من صورة كان قدرأها في احدى الصحف للكابتن، وهو يضرب الكرة. وكان جسد الكابتن يرتكز على أصابع قدمه ، والساق الاخرى ممدودة الى أمام وأوحت الصورة بالحيوية والطاقة.

أما «بام» فكانت مشغولة برسم راقصة باليه مرتكزة أيضا على أصابع قدمها ،وكان رأسها يميل الى الخلف وذراعاها مبسوطتين كانت «بام» تفكر وهي ترسم ، ثم قالت بصوت عال:

ـ«أنا متأكدة من أنه قد أختطف . »

فكر «فزر» قبل أن يرد عليها، أما «تومو» فتوقف عن نحت

وجه قرصان على الطين وقال: « لايمكنك أن تثبتي ذلك وأضاف «وسلي» : «حقاً لن يفيدنا قولك إنه قد أختطف فلا احد يهتم بذلك من دون وجود الدليل أليس كذلك يافزر»؟

كان أصدقاؤه يلجأون اليه في امور القانون والحق والباطل لأن والده في سلك الشرطة . وأحياناكان «فزر» يحاول أن يدهش أصدقاءه ويؤثر في نفوسهم بمعلوماته، وكأنه شخص محترف ولوعرفوا الحقيقة لأدركوا أن معلوماته ليست أفضل من معلوماتهم قال «فزر» « نعم ، إن و«سلي»على حق، أين الدليل؟»

فأجابت«بام»وهي تكشر عن أسنانها بغضب: أنا لااحتاج الى دليل، إن ال. . . . التي يمكن أن تدعوها و. . تلك الصفة التي تمتكلها المرأة هي التي تخبرني مإذا كان الشي صحيحاً أم خطأ من دون الحاجة لاثباته

ـ فقال «تومو» متعجباً: «نعم»؟

قالها «فزر»: «وماذا تسمى تلك الصفة. . التي يمكن أن تدعوها ب. . . ؟!

حكت «بام» رأسها ثم قالت: «إنها تدعى ب. . «التقطيع كان الأستاذ «لوفتي» يتجول بين تلاميذه ، يوجه

لهم النصائح ويساعدهم في أعمالهم عند الحاجة فسأله «فزر»:

ـ أستاذ ، مامعنى «تقطيع» المرأة؟

ـ«ماذا؟» رد لوفتي بوجه عبوس . وجلس على كرسي ووجه لهم كل اهتمامه.

فتدخلت «بام» قائله : من فضلك ياأستاذ، ألاتمتلك المراة، والفتاة، شيئاً في أعماقهن يخبرهن مإذا كانت الأمور صحيحة أم خطأ من دون الحاجة للتفكير فيها!!

قال «لوفتي» بجد «لم اكن أعرف أنهن يفكرن على الأطلاق، ياأنسه شورتر، ماذا تعتقد يافتزباترك ؟

كان «فزر» حائراً بين الضحك مع لوفتي على حساب «بام وبين الخوف من جرح مشاعرها ، ثم قال: «بام» لاتفكر ياأستاذ، إنها تستخدم حاسة. . (التقطيع)حسب.

قال لوفتي ضاحكاً: «آه، الآن فهمت، ما تقصدين هو «الحدس عند المرأة». كونوا دائماً على حذر من حدس المرأة فهي تستخدمه كالرادار، فهي تستقر على الاستنتاج الصحيح من دون الحاجة للتفكير السليم . لكن بم تستخدم «بام» حدسها؟»

فأجابت «بام»: «حدسي يقول لي: إن «زافر» قد أختطف

غادرت الابتسامة وجه لوفتي»، وانتابه الغموض ثم قال:
-«حقاً، أين يمكن أن يكون «زافر؟»
سأله «وسلي»: «هل سمعت شيئاً عنه ياأستاذ؟
هز لوفتي رأسه وقال: «ساخبركم حالما أسمع شيئاً عنه.»
تركهم «لوفتي» ووجه اهتمامه إلى أشياء أخر وبعد فترة من الزمن، سمع التلاميذ صوت ضربات رنانة . كانت اصوات تبدو وكأنها قادمة من الصف لكنها في الحقيقة كانت قادمة من الخارج. استدار التلاميذ، وانتصبت أذانهم ، ثم سمعوها مرة اخرى سألهم لوفتي بصوت هادىء حزين هل يوجد في الصف بعض اغبياء الذين يشاكسون هنا.
فرد عليه التلاميذ: «كلا ياأستاذ
تكررت الأصوات ، والتفت التلاميذ الى مؤخرة الصف حيث مصدر الأصوات فقال أحد التلاميذ واسمه«ماكسي مورتن»
- أستاذ! الأصوات قادمة من هنا»
كان ماكسي في مؤخرة الصف في حالة سبات مع صديقه «ميكي بايلي»قال كلامه وهو يشير إلى حاجز مشبك على الحائط فيمؤخرة الصف ، وعلى ارتفاع نصف متر من



الأرض استدارت الرؤوس لتنظر، ووقف بعض الاطفال الكرسي ليروا بوضوح اكثر . سار «لوفتي» الى مؤخرة الصف، بخطوات اعتيادية كان الحاجز المشبك مستطيلا ومصنوعاً من المعدن، مساحته ٤٥ سنتمراً مربعاً، وكان يسمع خلاله صدى ضربات رنانه وضع ماكسي»أذنه على الحاجز المشبك وانحنى«لوفتي»، ليسمع أيضا ،

أما التلاميذ فتركو أماكنهم ، ووقفوا حول الحاجز المشبك قال «لوفتي» : «حسن يمكنكم الجلوس في اماكنكم لاداعي للتوقف عن العمل .

ـ ماذا كان الصوت يااستاذ؟سال «فزر ثم تبعه وابل من اسئلة التلاميذ .

ـ «يبدو لي أن جونسي يعمل في القبو» .

كانت هناك قهقهات وتعابير عن عدم تصديق ، تلاشت عندما رفع لوفتي حاجبيه وقال : ربما يكون هناك اجتماع عمال في أسفل القبو لتصليح الأشياء»

فسألت بام : ولماذا نسمعها هنا ، فنحن بعيدون جداً عن القبو؟

أجابها لوفتي : هذا سؤال جيد ، وسوف نتباحث فيه في درس العلوم القادم الذي سيكون موضوعه :

سأل «تومو» : « في أي غرض يستعمل هذا الحاجز المشبك؟

ـ «يابني ، هذا أثر من نوع بدائي من التدفئة المركزية التي كانت في يوم من الأيام تدفيء أجدادكم حين كانوا يدرسون في هذه المدرسة .

ـ«تدفئة مركزية؟

ـ«نعم يافتزباترك ، التدفئة المركزية هي التي اخترعها الرومان الاتتذكرون مادرستم؟

ـ «لكن ياأستاذ ، هذه المدرسة لم تشيد في عصر الرومان»أبدي «ماكسي مورتن» رأيه من مؤخرة الصف ، فرد عليه لوفتي »

ـ «هذا صحيح ياسيد موركن ولو تطردون النوم من أعينكم أنت وأمثالك عند دخولكم إلى المدرسة في الصباح ، لأمكنكم ملاحظة التأريخ المكتوب على الباب الرئيس .

فأجاب التلاميذ بصوت واحد : «١٨٨٠»

ـ «هذا صحيح ، مصمم المدرسة بنى نموذجاً للتدفئة المركزية على غرار ماكان يستخدمه الرومان ، وقبل نصب النظام الحالي للتدفئة المركزية ،والذي يعد أيضاً قديماً ، كان الهواء الحار يأتي من السخان الموجود في القبو ، والذي يدفع الهواء الحار كمروحة عملاقة عبر قنوات في الحائط لتصل الى الصفوف . وأظن أنكم ستجدون حاجزا مشبكا في كل صف .

كانت هناك دمدمات ومحادثات وأيد وأذرع تصف حركات معقدة إذ كان كل واحد يشرح للآخر نظرية عمل التدفئة المزكرية .

ـ هيا اهـدأوا الآن قال «لـوفتي»وعـاد الى منضـدته أما التلاميذ فجلسو بهدوء وطاعة وبقيت «بام» غارقة في تفكير عميق .

الفصل السابع



سار «فـزر»، وسلي»وتـومـو، متمهلين الى بيوتهم بعـد انصراف من المدرسة عبر شارع شكسبير كان الطريق مليئاً بالمتسوقين ، والأمهات وهن يدفعن عربات أطفالهن كانت هناك نساء شرقيات يرتدين «الساري ذا الألوان البراقة، ويشقن طريقهن بين الزنجيات من منطقة البحر الكاريبي

،ليفحصن الفواكه والخضروات التي كانت معروضة في عربات أمام المحلات. سمع الأطفال نبذات من أحاديث دارت بين النساء، بعضها كان بالغة الانكليزية، وبعضها الآخر بالهندية او النجابية .

أماالمحلات التي تكسرت واجهاتها في الليلة المنصرمة فأصلحهاأصحابها، وفتحوها للتجارة وعلقوا شعارات خطت لوحات مطلية مكتوب عليها «سنبقى هنا، نحن أيضا بريطانيون اقترح «فزر» على أصدقائه : لنذهب الى محل «زافر» ونسأل ماإذا كان قد عاد الآن

سار الأطفال معاً في المنعطف المؤدي الى شارع « فيرونا» الـذي يُقيم فيه زافـر» مع دالريه، وجديه، وتوجهوا إلى المحل الذي يقع فيزاوية الطريق.

كان يمكن للمـرء أن يرى المحل عن بعد ميل ،إذكان مطليا باللون الأحمر البراق، والاخضر والأبيض .كان «فزر» يتشوق دائماً لزيارة المحل وليتفحص الأشياء الغربية والصناديق التي تملؤه. وكانت توجد في المحل أشياء لم يرها ولم يسمع عنها من قبل وأكياس من الفواكه

ـ أوربيا من خضروات كلها مجففه ،كذلك معلبات ،من الفاصوليا ، من كل الالوان والحجوم وقد صفت على الحائط.

ومـلـيء جو المحـل بروائـح اجنبيةمن الفواكه ، والتوابل ورائحة الطعام ، وكلها تتسلل كعبير الى الانف.

كان جد «زافر» هوالذي فتح المحل ، وكان قد جاء الى انكلتر بعد الحرب. وكان رجلا طويلا ذا عينين محدقتين ،وأنف معقوف .وكان يتحدث الانكليزية بصوت خشن الأمر الذي يجعل الناس لايفهمون كلامه.

كانت الكلمات تنـطلق منه كالرصاص، وهذا أمر ليس غريباً متى ماعرفنا أنه كان ضابطاً في الجيش الهندي .كان يقف منتصب القامة ويرتدي وشاحاً حتى في الصيف كان «فزر» يخاف منه قليلاً وذلك لأنه نادراً مايكون على يقين ممايقول الرجل الذي يبدو عليه الغضب.

كان والـد«زافـر» مشغولاً خلف المنضدة ، وبدت عيناه رطبة وتساءل «فزر» ماإذا كان يبكي لقد ولد والد «زافر» في انكلترا، وتعلم أيضا في مدرسة «بورشيا» الابتدائية ، وكـان يتحدث الانكليزية بطلاقة .عندما رآهم حياهم بهدوء قائلا:

ـ«مرحبا ياأولاد»

سأله «فزر» : «هل هناك أخبار عن «زافر» ياسيد جومين؟»

فهز جومين رأسه «كلا ، نحن قلقون جداً ، ولانعلم أين



يمكن أن يكون أولماذا هرب»

وتـوقف عن الكلام ووقف الاطفال قلقين ،وتمنوا قول شيء يسـاعـده على تحمـل هذا الألم ،ثم اكمل السيد جومين حديثه :

ـ«الأسرة كلها حزينة، لم تتوقف والدته «دورهيا» عن البكاء

منذ أن سمعنا .وذهب كل أصدقائنا، وأقربائنا للبحث عنـه، كذلـك الشرطة. أتمنى أن يعثروا عليه، أويعود للبيت عما قريب كان السيد جومـين يتحـدث وينـظم بحـركـات تدل على القلق والعصبية نماذج من البضاعة وعلب التوابل.

ثم سأل «فزر» : «هل كان « زافر»ا متورطاً بمشاكل.

ـ«الشرطةأيضاً سألت هذا السؤال .كلا، كان«زافر» ولداً طيباً وليس لديه مشاكل ، ولم نقلق يوماً عليه

سأله تومو» : «هل لديكم أعداء؟»

ـ «كلا ،لااستطيع تذكر أحد ، لماذا؟»

فقال تومو بتردد : «ربما اختطفه شخص ما.

ـ« ومن يفعل ذلك؟ نحن لسنااغنياء كي ندفع فدية

قال «فزر» : «نحن أسفون جداً على ماأصابكم ، وسنقوم بالبحث !!

عنه بحثاً جيداً.

وقبل أن يخرجوا من المحل ناداهم السيد جومين وأعطاهم قطعاً من الحلوى.

الفصل الثامن



دخل «فزر»الى البيت من الباب الخلفي ، وابتسم عندما شم رائحة القلب المشوي والبطاطا المشوية . كان مهماً بالنسبة له أن يعوض عن سندويج «البركر» الذي تناوله في مطعم المدرسة . كانت والدته تحرص دائما على أن تغذي زوجها جيداً قبل ذهابه الى مهماته الليلية عندما أغلق

الباب ، فكرفي نفسه ماإذا كان سيخبر والديه عن اختفاء «زافر»حالما يصل ، أويلقي الخبر كقنبلةمفاجئة في أثناء احاديثهم على مائدة الشاي . كانت والدته تتفحص قدراً في الفرن ، وعندما رأته قالت :

ـ«لقد تأخرت يا«فزر» . امسح حذاءك!

عاد«فزر» من دون اعتراض ، ومسح حذاء بحذر بممسحة الأحذية البنية اللون عند عتبة الباب وغسل يديه ليتجنب والدته ثم قال : لقد ذهبت الى محل «زافر» .

بعدها ،علق سترته ، إذ تذكر أن عليه ألا يتركها هنا أو هناك ، ثم ذهب الى والده في غرفة المعيشة . نظر السيد فيتزباترك من فوق جريدة المساء التي كان يقرؤها وسأله : «هل كان يومك ممتعاً يا«فزر»؟

ـ «نوعاً ما»

ـ «ماذا فعلت اليوم في المدرسة؟

ـ«لاشيء غير اعتيادي»

ـ «اتدرسون أشياء معينة في المدرسة هذه الأيام؟

ـأحياناً .

ـ «مثل ماذا؟» .

فأجابه «فزر» «الرياضيات ودروس أخر:

- «يجب علي أن أتحــدث مع أستاذك السيد بوتس، فالمدرسة مضيعة للوقت ، ولوتسألني . . »

قرر«فزر» أن الوقت قد حان لتغير الموضوع وإذا لم يكن حذراً ، فان الحديث سيصبح استجواباً عما فعل وعّما يفعل في المدرسة . قال «فزر» بصوت ملْؤه السام : «لقد استجوبتني الشرطة اليوم .

أنزل السيد «فيتزباترك» الجريدة وكرس كل انتباهه عليه وقال : «ماذا؟»

وعندما سمعت والدته صوت زوجها، وقد ارتفع بنبرة عدم تصديق ، جاءت بكل فضولها و سألت، «ماذا حصل؟ :

فكرر«فزر» قوله : » لقد استجوبتني الشرطة»وكان سعيداً بالمشاعر التي أثارتها أخباره عن «زافر»

فسالته والدته : «وماذا بعد ذلك؟»

وسأل والده أيضا «من أجل أي شيء استجوبتك الشرطة؟»

- «لقد اختفى «زافر»

فقالت والدته : «هيا أكمل حديثك! وأتمنى أن تقص علينا ماحدث بالتفضيل بدلاً من أن تعطينا الخبر بالتشطير فقص عليهم ماحدث. وعندما أكمل قصته، قالت

والدته :

-«مسكين السيد جومين، فكم هو مرعب ألا تعرف أين «زافر» .

وجه «فزر» حديثه إلى والده «هل ستتدخل دائرة التحريات في ذلك ياوالدي

- «ليس بالضرورة، فالشرطة المحلية يمكنها أن تعالج هذا الأمر، اما اذا لم يظهر عن قريب ، فسنبحث جميعاً (الشرطة)في المنطقة مع الكلاب التي تتبع الأثر».

فقالت والدته : أية مشكلة تمر بها والدته المسكينة!»

وعندما تذكرت الأشتباكات التي حدثت بسبب التفرقة العنصرية قالت: «لاأعرف مالذي يحدث في العالم ، كل يوم مشكلة جديدة»

تحدثوا في اثناء تناول الشاي عن أمور أخرى، ثم تطرقت والدته لموضوع الانتقال الى منطقة أخرى كان المسكن الذي يعيشون فيه يعود الى والدي السيدة « فيتزباترك» وقد ولدت فيه، وعاشت حياتها كلها فيه كانت الدار كبيرة طراز العهد الفكتوري، الأمر الذي سهل على والدة«فزر» حل مشكلتها في العناية بوالدها الأرمل ، وفي

الوقت نفسه الزواج من آرثر. وبعد أن توفي والدها بقيت في الـدار نفسهـا من مميزاتهـا ، كبر حجم غرفها وليست كالـدور الجـديدة في ضواحي المدن والتي تبدو كالعلب الجذابة وعلى الرغم من حسن مواقع مطابخها المضيئة غير أنهـا لم تغـرهم بترك شارع وددفبلد الـذي يمتلك ميزة اخرى وهي قربه من المحلات، مواصلات النقل، ومن مركز المدينة،

كانت الضواحي الحديثة أحيانا تغري السيدة «فيتزباترك بالانتقال ، بعد أن أصبح اسم منطقتهم من أسماء المناطق القديمة، وبعد أن هدمت باسم التطور الشوارع ولابنية القريبة منهم لم يكن «فزر» يحب الانتقال بأي ثمن فقد كان مولعاً بمدرستة فضلاً عن أنه سيفقد اصدقاءه . أما والده فكان أيضاً ضد فكرة الانتقال.

كانت والدته منغمسة جداً بالأحاديث حتى إنها غفلت عن بعض تصرفـات «فـزر»غـير اللائقة في اثناء الطعام كوضع السكين في فمه، أواطلاق أصوات في اثناء تناوله التفاح لكنها لم تنس أن تطلب منه المساعدة عند غسلها الصحـون، فوجـد «فـزر» نفسـه يحمـل منشفة في يده ليجفف الصحون

ماإن أنهى «فزر» عمله حتى ارتدى سترته مستعداً للخروج . سألته والدته: «أين تظن أنك ذاهب؟»

نظر الى والدته بعينين ملؤهما البراءة، وقال لالعب طبعاً ـ وستدخل نفسك في مشاكل من دون شك فاعترض قائلاً كلا ياولدتي سألعب فحسب ـ أسفة ياعزيزي أظن من الأفضل لك أن تبقى هنا وفي هذه الأثناء دخل والده، وهو يرتدي ملابس الشرطة فبادره «فزر»:

ـ «بامكاني الخروج » اليس كذلك ، ياأبي؟

فتدخلت والدته: «لاأظن أنه يجب أن يخرج»

ـ«أرجوك يأبي، أنا لست طفلاً.

فقال والده: «دعيه يخرج قليلاً ،لن يحدث له شيء ثم وجه كلامه «لفزر»: «لاتتأخر وابتعد عن المشاكل! وعندما خرج فزر، تذمرت والدته قائلة «لاأحد يعيرني اهتماماً.

كانت السماءملبدة بالغيوم الرمادية، وهبت ريح عاصفة وباردة سار «فزر»في الطريق، وهو يميل كتفيه للامام ، ويداه في جيوبه وفكر في نفسه أستطيع أن أجد «زافر»؟

ذهب الى بيت «وسلي» وظهرت والدته أمام الباب وهي في ملابس محصل باص المصلحة، وقالت بفخر إن «وسلي »مشغول بدرس البيانو. إذ إن سكان جزر الهند الغربية

مولعون بالموسيقى .
وأخفق «فزر» أيضاً في العثور على «تومو» إذ كان قد ذهب لزيارة جدته التي تحتفل بعيد ميلادها . ولم يكن لدى فزر مانع من زيارة «بام»لكنه لن يستطيع تحمل الفشل ، اذا اكتشف أحد من زملائه أنه يزور فتاة .
بقي «فزر» يتجول في الطرقات من دون هدف بدت الطرقات مهجورة من الناس ، وكانت الرياح تعصف ، وكانت الصحف والعلب الفارغة تتطاير في الطرقات . ثم وجد نفسه في شارع شكسبير من دون أن يقصد ذلك .
كانت معظم المحلات مغلقة ، والاخرى في طريقها للاغلاق وكان المساعدون يقفلون الأبواب ، أوفي طريقهم لبيوتهم تجمع بعض الناس في زوايا الطريق ، وكأنهم يترقبون شيئاً ما . ومن بعيد ، شاهد شرطيين ، وتساءل ماإذا كان والده سيشترك في اشتباكات تلك الليلة .
انتابه خوف على والده ،وتمنى ألايصاب بأذى . كان والده شجاعاً لايخاف من أحد ، لكن عندما هجم على الشرطة ذوو الرؤوس الحلقة وجماعة «المشاغبين» بأعدادهم الكبيرة ، وقذفوا الشرطة بالحجارة اضطر أفراد

الشرطة لحمايتة اعتقد «فزر»أنه لأمر حسن أن يكون والده بطلاً ، يسأل عنه الجميع ، ويشيرون إليه عندما يسير في الطريق ، وربما يذكر «بوتسي» اسمه في الاجتماعات سيكون فخوراً بوالده ،لكن . . .ليس على حساب سمعه والده تذكر «فزر» تحذير والديه من دخول شارع شكسبير لكنه لم يقصد الذهاب هناك ،بل اجتذبه المكان وكانه مغناطيس كبير.
وصل «فزر» الى شارع «بورشيا»ولاحت مدرسته من بعيد وعندما وصل اليها ، كانت بوابه المدرسة الخشبيه مفتوحه ، فدخل ووقف في الساحة . كانت الساحة خالية من الاطفال وودلو أن الاطفال يتمكنون من اللعب فيها الملعب وود لو أن أصدقاءه معه ليلعبوا كرة القدم إن كانت لديهم كرة وتبددت احلامه عندما دفعه أحدهم من الخلف .
استدار«فزر غاضباً فرأى شخصاً يرتدي بنطوناً قديماً ومرقعاً من الجينز ،وسترة مقاتلين ، قال « لفزر» :
ـ«المدرسة مغلقة ، فأخرج ! »
نظر«فزر» الى تلك العينين القبيحتين ، اللحية الحمراء ، ثم قرر ألايدخل في أي جدل معه إذ إنه يستطيع إلامساك



به قبل أن يتمكن من الهروب، ولا داعي لأن يكون بطلاً.

تحرك بهدوء ، وعاد الى بوابه المدرسة وهو ينظر إلى الرجل بين حين وآخر.

سار «فزر» نحو طريق آخر غير شارع «بورشيا»، وهو زقاق ضيق يفصل جدار المدرسة عن كنيسة قديمة . كان

ارتفاع سور المدرسة مترين ، لذا فهو سهل التسلق يتسلقه الأطفال عندما تقذف كراتهم خلف السور. وكان أشبه بطريق قصي يسلكه الأطفال بدلاً من الخروج من البوابة. الى الزقاق، ثم الى المدرسة. ولأن الاطفال يتسلقونه دوماً، فقد تركت أقدامهم فتحات بين الطابوق القديم. ركض «فزر» تجاه السور، وبقفزة واحد استقرت يداه على السور، دفع نفسه لتستقر ذراعاه على السور، ونظر الى ساحة المدرسة في الوقت المناسب فقد شاهد الرجل الذي طرده من المدرسة، وهو يدخل في قبوها.

انزعج «فزر» من الرجل ومن طريقة معاملته ، فهولم يصدر عنه ما يستحق تلك الخشونه ولعن بعض الكبار الذين يصرفون الأطفال متى ماشعروا برغبة في ذلك ترك «فزر الحذر جانباً ، وأقدم على النزول الى ساحة المدرسة.

وبعدها توجه الى سلالم القبو، ونزل على أطراف أصابعه.

كان باب القبو مغلقاً فأمسك بمقبضه وأداره فاتفتح الباب بسهولة كان حذراً جداً ومستعداً للهروب بسرعة إذا اقتضى الأمر.

كان باب حجرة السخان مفتوحاً أمامه، وبخمس خطوات وصل إليها .كانت الحجرة مظلمة والضوء الوحيد الذي

سشع فيها هو ذلك الذي يشع من باب النار.

كان القبو خالياً، حك «فزر» رأسه وتساءل في نفسه أين ذهب ذلـك الـرجـل ومن يكون؟ كانت هناك كومه من الفحم سقـطت منهـا بعض الفحـمات من تلقاء نفسها فأفزعت «فزر» ثم رجع من حيث أتى تسلق السور ليعود الى البيت.

كانت الغيوم قد تغير لونها فصار رمادياً داكناً وشعر برذاذ من المـطر في الرياح العاصفة. شعر «فزر»بشيء غريب غامض بالنسبـة لذلـك الرجل لكنه لم يعرف ماهو كان حائراً وضجراً من دون أصدقائه، فعاد الى البيت إذلم يجد أمامه سوى مشاهدة التلفاز.

الفصل التاسع



كان «زافر»بشعر بالجوع، فهو لم يأكل شيئاً منذ الصباح ويـدأ يتسـاءل في نفسه إذا كانوا سيتركونه هكذا ليموت جوعـاً. فكـر في «الكـاري» وفي السمـك والبـطاطـا، والفاصوليا التي تطهـوهـا والـدته، فسال اللعاب من فمه. وكان يعاني من مشكلة أخرى ملحة، وارتاح عندما

فتح جوني الباب ودخل وهو يحمل قنينة حليب وصموناً فقال لجونسي :

ـ«أريد الذهاب الى المرافق .

ـ«يجب أن تنتظر»

ـ«لقد انتظرت طوال النهار، يجب أن أذهب الأن ، فتش جونسي بين «الخردة»التي كانت في القبو، فوجد دلواً قديماً فقال ل«زافر» : «استعمل هذا . » نظر الى جونسي وقال بالحاح

ـ«كلا ، ليس هذا ، أريد . . . أن أجلس . . . أستعمل ورق المرافق ، »

ـ«لقد تعلمت طباعاً متحضرة«قال جونسي باستهراء ، ثم أطلق شتيمة أخرى ، وبدأ بفك الحبال التي قيدبها «زافر»

ـ«هيا! لا فائدة من التفكير في الهروب فجميع الأبواب مغلقة .

خرجا من القبو وأقدامهما تسحق بصوت عال فتاتا من الفحم ، ثم صعدا السلالم الداخلية التي تؤدي الى قرب قاعة الآجتماع . وعندما وصلا الاعلى وفي داخل بناية المدرسة نظر «زافر»عبر الشباك ، وأدرك أن الوقت مساء فتح «جونسي» باب المرافق ، ودفع «زافر»قائلاً :

ـ«أسرع فليس لدي متسع من الوقت .

لم يكن«زافر»قدفكر في الهروب إلاعندما تطرق «جونسي» اليه وعندما فكر في الهروب ، وجده شيئا مستحيلاً ، إذكانت الأبواب مغلقة من دون شك أما شبابيك المرافق فكانت صغيرة وعالية ، وحتى لوأنه استطاع الوصول اليها بطريقة أوباخرى فانه سيضطر إلى القفز بعد ذلك من مكان عال الى ساحة المدرسة الكونكرتية وعلى أي حال ، كان جونسي ينتظر خلف الباب ، يتحرى عن أي صوت غير اعتيادي فكر في والديه ، لابد من أن يكونا الأن قلقين علي ، ولابد أن يكونا قد أبلغا الشرطة . والناس الآن يبحثون عنه في كل الشوارع والملاعب ، ويسالون «فزر» ، تومو و«وسلي»الذين يحكون رؤوسهم في حيرة .

حاول «زافر»في أثناء أن يجذب الانتباه الى مكانه ، وذلك برفس أنبوب للتدفئة المركزية كان في أسفل جدار القبو ، وكان متوقعاً أن يسمعه أحد ، ويتحرى عن تلك الاصوات التي تملأالمدرسة . كان أمرا متعبا ومزعجاًأن يرفس بقدميه الموثقتين ، فتوقف عن الرفس وفي الوقت نفسه لم تكن محاولته ذات فائدة ، إذكان من المستحيل أن يدرك أصدقاؤه أنه قريب منهم ودلوأنه يستطيع إرسال

رسالة أو يستطيع أن يترك أثراً . . . .

(أسرع !»صرخ جونسي، وحذره قائلاً لاوقت لدي سحب «زافر»ورق المرافق الذي انساب في يده من الحاملة وفجأة خطرت له فكرة. . فتش في جيوب سترته عن قلم ، ثم سحب المزيد من ورق المرأفق وكتب عليه بأحرف كبيرة «أنا أسير في القبو. . النجدة. زافر»ثم لف الورق مرة أخرى واعتقد أن أول شخص سيستخدم المرافق، والورق في صباح اليوم التالي، سيجد الرسالة ، ويأخذها الى «بوتس» ليحرره من الأسر.

شعر «زافر» بالفرح والابتهاج لخطته هذه ،ثم فتح الباب، ليقوده جونسي الى القبو من دون أن يراهم أحد عند عودتهم للقبو توسل زافر بجونسي» ملتمساً منه الا يقيد يديه وقدميه، لذلك ربط «جونسي «زافر»من خصره فقط، وربط نهاية الحبل بحاملة حديدة في أعلى الحائط بعيدة عن متناول يد «زافر» وهكذا أصبح باستطاعته تحريك يديه ،وقدميه وأصبح بأمكانه الوقوف أوالجلوس على الكرسي القديم وضع «جونسي»الحليب والصمون في متناول يد «زافر» وقال له: «أنت محظوظ لان لديك شيئاً تأكله.

الفصل العاشر



لم يقل زافر شيئاً حين فتح «جونسي» الباب واختفى في الممر المظلم سمع صرير الباب زهويفتح، وحين أغلقها جونسي ،شعر زافر برعدة تسري في كيانه، انتظر بلهفة، وعيناه على مصباح في السقف وعندما مرت اللحظات بطيئة، عاد إليه الهدوء وظل المصباح مضيئاً. أزال سداد القنينة، وتناول جرعة كبيرة لن يأكل سمكاً ،ولارقاقات بطاطا مقلية في هذه الليلة، واستدار بلهفه نحو الصمون والتهمه بنهم شديد.



كان«فزر»يحلم حلماً رائعاً قبل أن توقظه والدته في الصباح إذحلم بأنه استطاع من تسديد ضربة قوية وطارت الكرة كالطلقة من فوق لاعبي الدفاع لتسقط مباشرة في الهدف فأطلق الحكم صفارته معلنا هدفاً

هاج الملعب وماج ونادت مائة الف حنجرة باسمه: «فزر . . . فـزر» . . . »كـان طوله عشر أقدام،وكان في اللعبة

يسـدد هدف النصر في مبـاراة كأس العالم. وكان كابتن الفـريق يربت على كتفه يهنئه على الهدف. ثم فتح عينه وحدق في وجه والدته التي قالت: «هيا يا«فزر»حان وقت النهوض

«حسن ياوالدتي. » دمدم «فزر» ووضع رأسه مرة أخرى على الوسادة بدأ الحلم له وكأنه حقيقة فكان مايزال يشعر بالـرضـا لتسجيله الهـدف وكان مايزال يشعر بالاصابع تربت على كتفه. . . لكنه كان حلماً. . . . إذكان في فراشه ،وهو ما يزال في الحادية عشرة من العمر ، وليس هو بطلاً عالمياً فهو مايزال في المدرسة.

بعـدها فكر في «زافر» وتساءل في نفسه: . . هل وجده أحـد؟ أين قضى الليلة؟ والده سيعود من مهمته في أيه لحظة. . ترى هل لديه أخبار ؟ هل حدثت اشتباكات في الليلة الماضية؟ وبدلاً من البقاء خمس دقائق أخرى في الفـراش، دفـع الغطاء ونهض .وبعد أن أكمل ارتداء ملابسه أسرع الى المطبخ وهو يقفز:

-«فزر» !جاء صوت والدته طالباً منه الايفعل ذلك. لكن القفزات كانت أسرع من السير وكان من المؤسف الا تدرك والدته وجهة نظره حول ذلك

كان والده جالساً خلف مائدة الافطار، وبدا من الصحن الذي امامه، أنه قد أنهى تناول فطور، وكان شارد الذهن وهـو يمضغ قطعته من الصمون، ويقرأ جريدة ثم قال «صباح الخيريا «فزر»

ـ صباح الخير ياأبي، هل أنت بخير؟ هل لديك اخبار عن «زافر»

ـ «نعم. ولا. لقد فتشنا أمس المنطقة بأكملها، فلم يره أحد، ولا سمع عنه شيئاً.

ـ «وهل حدثت اشتباكات في الليلة الماضية في شارع شكسبير؟

ـ لاشيء سوى أن أثنين قد أحدثا بعض الازعاجات.

وضع «فزر» يده في علبة السكر، وأخذ بقبضته يده حفنة منه، فجاءه صوت والدته عالياً مخدشاً للاذان:

ـ «فزر! لاتفعل ذلك! اسكب السكر من العلبة برفق!

ـ حسن ياوالدتي»

فكر «فزر» في يومه .. يوم آخر في المدرسة... سيكون هناك اصطفاف. ثم اجتماع كالمعتاد، و«بوتس» يلقي كلمته، ثم تبدأ الدروس.

انتهى «فـزر» من تناول فطوره واستاذن والديه ، وغادر مائـدة الـطعـام ليبحث عن سترتـه إذيجب أن يسرع للمدرسة ليجد الوقت الكافي للعب كرة القدم إذ جلب أحد كرة معه.

انتظرت السيدة فيتزباترك عند الباب ، فرفع «فزر» رأسه ليستلم القبلة التي لامفر منها.

ـ«مع السلامة»

ـ «مع السلامة ياعزيزي، ابتعد عن المشاكل .. هل سمعت؟

اليوم ، لن يجـد «زافـر» خلف السور ولن يناول الكرة أحدهما للاخر. سار«فزر» بضجر في الشارع، ثم الى المنعطف.

كان«وسلي»و «تـومـو»ينتظرانه عند المنعطف، ثم ساروا واحداً خلف الآخر الى شارع شكسبير.

كان عليهم أن يشقوا طريقهم بين حشد الامهات وعربات الاطفال والمتسوقين ،وأصحاب المحلات الذين ينظفون الارض أمام محلاتهم وصلوا الى شارع بورشيا، ولاحت المدرسة من بعيد لم يكتب أحد هذا اليوم ، شعاراً جديداً على السـور ليمسحـه «جـوسي، وبـدا الاطفال الذين

يدخلون المدرسة وكأنهم خراف تدخل من فتحة بين شجيرات لم يجد أثراً للرجل الذي طرده من المدرسة كل شي كان يبدو طبيعياً. دخل «فزر» الى الملعب واستغرب رأى «بام» وهي تلعب مع الفتيات لعبة نط الحبل.



كان «باول بنك» يستعد بقلق للذهاب الى المدرسة بعد أن غاب اليوم المنصرم بسبب مرض الإسهال الذي كان يعاني منه، فضلاً عن أن جهازه الهضمي لم يكن على مايرام مما اضطر الى التقيوء عدة مرات.

أما اليوم فكان يشعر بتحسن نوعاً ما، على الرغم من وهنه

وارتجـافـه حتى إنـه شعر بأن الصمون والشاي اللذين تناولهما عند الافطار يستقران في معدته.
قالت له والدته: ستكون بخير اليس كذلك ياعزيزي؟
هز رأسه والشك ينتابه ،ثم قال بصوت ضعيف بلى أظن ذلـك كان يعلم أنها تريد الذهاب الى العمل ،وكانت منـزعجة قليلاً لانها اضطرت الى أخذ إجازة ليوم واحد للعناية به.
ثم تابعت حديثها: أعطيك رسالة، ياعزيزي لتسلمها إلى مدرستــك، سأشرح حالتـك الصحية كي تسمـح لك بالخـروج من الصف متى ماشعـرت بحـاجـة لذلك، وتسمـح لك بعدم تناول الطعام في المدرسة إذا لم تشعر برغبة في الأكل.
قبلته والدته على خده، وربتت على رأسه، وسار متردداً الى المـدرسـة وهـو يتساءل عما يخبيء له هذا اليوم من أحـداث بدأ يفكـر في المـدرسـة، وتمنى ألا تطلب منه المدرسة تنظيف بيت حيوان من فصيلة القوارض يدعى الهمستر إذيزعجه حتى التفكير في ذلك ،ثم حول تفكيره إلى أشياء أخرى ربما ستدعه المدرسة يرسـم اذ كان يحب الـرسـم أكثر من أي شيء آخر، ويمكنه أن يرسم طوال

النهار لوسمحت له ولم تزعجه بالقراءة والملخصات، أو الموضوعات الاخرى حتى تلونيه في دفتر الرسم كان جميلا جداً، وهذا ما قالته المدرسة.
دخـل الى ساحـة المدرسة، وتعجب من الأطفال الذين يلعبـون بسعادة أن أمامهم يوماً كاملاً في المدرسة. شق طريقه بين الأطفال، وفكر في الروضة، كان لامانع لديه من العـودة الى الـروضـة، وكان على يقين من أنه الان يستطيع حل الواجبات الصغيرة فيها . . . لكن لافائدة من التمني إنه الآن ولد كبير. هذا ما يقوله الجميع والدته ووالده، ومدرسوه وكل واحد منهم يقولها بنبرة مختلفة من الصوت. كان يبلغ من العمر تسع سنوات ،في الصف الثـالث، نحيفـاً شاحبـاً ويكـره درس الـرياضه البدنية والالعاب، وكل شي غير منتظم أصبحت حياته الدراسية اسهل من ذي قبل عندما نقلوه الى صف المدرسة «الست بسارد» للتلاميذ الكسـالى نقمت والدته عندما اقترح عليها الاستاذ «بوتس» نقله لذلك الصف لكنه هدأ من روعها عندما شرح لها مميزات الصف الجديد إذ سيصبح بإمكانه أن يركز أكثر في صف ،عدد تلاميذها اثناعشر بدلا من صفـه القديم الذي كان عدد تلاميذه خمسة وثلاثين



وكان عليها أن تعترف بتأخر ابنها
عن بقية الأطفال عندما شاهدت أوراق آمتحاناته واجوبته وعندما التقت والدته بمدرسته «الست بسترد» البدينة التي أخبرتها بأن ولدها لطيف مهذب، فرحت بذلك . أما هو فكان يتضايق من سخرية الأطفال منه وقولهم إنه أغبى تلميذ في الصف . لكنه كان سعيداً في صف الست بسترد التي كانت تعامله بلطف وحنان، تحضنه وتناديه ب «عزيز»

تجنب الاصطدام ببعض تلاميذ الصف الرابع الذين كانوا يركضون خلف الكرة بعدها اعتذر بلطف عن دعوة بالانضمام الى تلاميذ من الصف الثاني معهم . كان يبدو مضحكاً وماكان عليه أن يأتي للمدرسة على الاطلاق وهو ما يزال متوعك الصحة ثم وقف ليتفرج على بنات وهن يلعبن نط الحبل، وأخريات يتفرجن وينشدن نشيداً.
فجأة شعر بالألم في أمعائه ، ووقف في ساحة المدرسة وهو لايستطيع التحرك . . شيء مخيف على وشك أن يحدث له . سار بحذر وببطء تجاه باب المدرسة، وفكر هل سيستطيع الوصول الى المرافق من دون حدوث مشكلة؟ صعد السلالم بحذر، وعندما وصل الى المرافق ، دفع الباب ودخل وهو على وشك البكاء .
بعد دقائق، سحب ورق المرفق من دون عناء وبداله أن شخصاً ما قد كتب شيئاً عليه . واعتقد أن بعض الاطفال لابد من أنهم يعبثون في المرافق كان هذا من ألامور التي لايحبذها الاستاذ«بوتس»وهذا ماقاله أيضاً في الاجتماعات . ماذا سيحدث لوشاهده أحد وبيده هذا الورق؟ سيقع اللوم عليه بالتأكيد ، ثم تذكر الباب مقفولة، ولن يستطيع أحد رؤيته .

حاول أن يقرأ الكلمات. لكنها كانت صعبة ، فقد كتبت بخط كبير غير واضح ، هل هذا مزاحاً ؟ لكنه تمكن من معرفة بعض الحروف . . . س. . . ق. . . ز غي أنها لم

تكن تشبه الحروف التي يقرؤها في كتاب القراءة. لكن لماذا يكتب أحد على الورق، فصل هذا الجزء من الورق عن لفيفة ، ورماها ثم سحب جزءاخر بعدها غسل يديه ، كما وجهته والدته، ثم انضم الى بقية التلاميذ ليواجه اليوم بشجاعة.

●●●

كان «وسلي»و «فزر بانتظار الصفارة عندما قال وسلي»: «انظر هناك! ألا تبدو تلك الكرة، وكأنها كرتك؟»

رأي «فزر» الكرة من بعيد، وكانت حقاً تبدو ككرته، وهي تتدحرج في الملعب ، ويركض خلفها مجموعة من تلاميذ الصف الثالث.

ـ هيا ، تعال معي ! صرخ «فزر»، وركض تجاه الكرة. وعندما وصل إليها التقطها من أمام قدم لاعب ربما سيصبح بطلاً عالميا، واعترض التلاميذ على ذلك:

ـ ارم الكرة! . . إنها كرتنا. . . »

حمل «فزر» الكرة عالياً، وكانت نظرة واحدة إليها تكفي لارضائه ، فصاح «إنها كرتي»

ذهب «وسلي»و «تومو»ووقفا الى جانب «فزر»الذي قال لهما

ـ«انظرا الى العلامات»!

تفحصا الكرة بدقة متناهية وهما يهزان رأسيهما دليلاً على الموافقة، كان من الصعب عليهما التعبير بالكلمات لم يكن اسمه مكتوباً عليها، ولكن تراكمت عليها علامات واثار بارزة من الضرب والارتطام بالأسوار، وباسفلت الملعب. لم يكن عندهم أدنى شك في أنها كرته.

- «إنها ليست كرتك بل كرتي قال تلميذ عصبي ذو وجه مكتنز وهو على وشك البكاء وحاول اختطاف الكرة من يد «فزر» كان هذا الولد كفن ابن]«جونسي».

صرخ «فزر» : «كيف حصلت عليها؟»

«إنها ليست كرتك»

أمسك «فزر» بقميصه وجذبه نحوه، وقرب وجهه من وجهه وقال بعصبيه «إنها كرتي سل صديقي إن كنت لاتصدقني !» وأشار إلى صديقيه ، فأيدا كلامه، وكانت «يام»أيضاً معهما وهي تعبة من لعبة نط الحبل.

ـأين وجدتها؟» سأله «فزر»

ـ «في حجرة «السخان»

ـ«كرتي سقطت في القبو، إنها إذن كرتي»

ـ«من يجد شيئاً يمتلكه لذا فهي ملكي أنا

ـ«هراء! أرني أين وجدتها! هيا!»

دفع «فزر»كفن» الذي يبكي، وتبعهما أصدقاء «فزر» وتلاميذ من الصف الثالث. وقفوا عند باب حجرة السخان»فقال فزر

ـ«أين المكان؟»

أشار كفن» الى دلاء التنظيف التي تحت المنضدة وقال:

ـ«وجدتها خلف الدلاء.»

سألت «بام» : لماذا لم يجدها «زافر»؟.

فقال «كفن» : «لاأعرف على أيه حال ، تلك الدلاء لم تكن هناك عندما وجدت الكرة فهي تستعمل من قبل المنظفين ثم يعيدونها هنا»

لم يجدوا أي دليل على مكان «زافر» فسأل «تومو»

ـ«هل تعرف أين «زافر»؟

فرد: طبعاًلا

سأله فزر والشك ينتابه: «هل أنت متأكد؟»

ـ«طبعاً متأكد»

ـ على أي حال، الكرة هي كرتي ، سأحتفظ بها.

أنهى فزر» الموضوع ، وصعدوا جميعاً حتى وصلوا، الى الملعب هزت «بام رأسها وقالت : بدأ اللغز يتعمق أكثر»

وعندما وصلو الى ساحة المدرسة شاهدوا فتى صغيراً شاحباً ،وهو يسير ببط أمام باب المدرسة ثم سمعوا الصفارة واستعدوا للاصطفاف.

الفصل الثاني عشر



نام «زافر »نوماً غير مريح على الكرسي المتداعي إذكان يصر ويتمايل عند أيه حركة مهدداً بالانكسار تمنى ألاينكسر، إذكان هذا الكرسي هو الشي الوحيد الذي يستطيع الجلوس عليه. فالحبل الذي ربطه به «جونسي» وعلق نهايته في كلاب على الحائط ،كان طوله يكفي

للجلوس على الكرسي فقط . وإذا انكسر فليس هناك شيء آخر يسطيع الجلوس عليه، ولم يكن طول الحبل يكفيه ليجلس على الارض أولينام على السرير . سيضطر إذن الى الوقوف .

أدرك «زافر» أن الوقت صباح إذا سمع جونسي»وهو يشعل النار في «السخان» وسمع صوت الجهاز الألي وهو يشتعل .

وفكر في نفسه : ماذا حدث في العالم خارج القبو ؟فكر في والديه وروهيا» . لابد من أنهم لم يناموا جيداً، أين كانوا يبحثون عنه؟ ليت الشرطة تأتي وتبحث عنه في القبو.

ماذا يفعل «فزر» وبقية الجماعة؟ والسيد «بوتسي»، هل اجتمع بالتلاميذ للسؤال عنه؟ لابد من ان وقت المدرسة قدحان وحان معه أن يجد أحد رسالته .

وسياتي المنقذون في أيه دقيقة، من باب القبو وبدأ «زافر» يتلوى بتلهف ونفاذ صبر

فجاة فتح ، فرح «زافر»لكن خاب ظنه عندما رأى جونسي» والرجلين الاخرين وهم يحملون صناديق من القناني الفارغة تجاهلوه، وركزوا اهتمامهم على القناني في إحدى زوايا الحجرة. بدأ يشتم رائحة البنزين واستطاع

سماع مقتطفات من أحاديثهم .
ـ«سنلقن الـزنـوج درساً هذه المرة من دون شك قال ذو اللحية الحمراء وهو يفكر في الاموال التي يتقاضاها، والانتقام من الشرطة، كان يبث الحماس في زميليه للقيام بأعمال الشغب والتخريب التي خطط لها. ثم أكمل حديثه.
ـ أكيد سوف ننجح ،كل مانحتاجه هو العزم على جعل مدينتنا بيضاء من دون وجود الزنوج، والعبيد والسمر أما بالنسبة للشرطة. . .»
استدار نحو «جونسي» وقال له : «لقد كنا في «هاندسوورث و«توتنهام»ورأينا الاضرار التي سببها الزنوج .
أؤكد لك ان هناك مئات من البريطانيين مستعدين للانضمام الينا لدحر الزنوج . وهم الآن بانتظار إشارة منا»
قال ذو القبعـة الصـوفية وهـو مشغـول بالقنـاني ويداه ترتجفـان بعصبية«أنـا أعـرف ما يشعـرون به وأعـرف مايحـدث في المدن ،فالمنطقة التي كنت أسكن فيها في طفـولتي أحتلهـا الزنوج وملئت الشوارع بهم . صارت بريطانـيا

أشبه بأفريقيا أو الهند .
شارك «جـونسي» في الحـديث قائـلاً : «هـذا صحيح ،وستصبـح «فـورجسـتر»كـذلـك ،وخصـوصـاً هذه المنـطقة، سر في شارع شكسبير، فلن تسمع أحداً يتكلم الانكليزية، حتى أصحاب المحلات التجارية تركوا محلاتهم» .
قاطعه ذو اللحية الحمراء قائلاً : «ابتداء من يوم السبت وصـاعـداًستتغير كل الأمور، سيستولي البريطانيون على شارع شكسبير، «نـورجسـتر ، » وستحتل عناوين هذه الاخبار مكانة مرموقة في الصحف والتلفاز كان وجهه يزادا احمراراً، وهو يتكلم، وكان صوته يتعالى، وكأنه يتحدث الى حشـد من الناس ، ثم تابع حدثيه : ستتولى نحن القيادة، ونكـون قدوة لبقية البلاد. ثم ربت على كتف الحارس بطريقة ودية وقال له :
ـ«بإمكانك أن تفتخر يا«جونسي» تفتخر بدورك الذي تقوم به ضد الزنوج سأذكر اسمك على نحو أخص أمام رئيس العصابة»
قال ذو القبعـة الصوفيةلزافر «زافر» حاملاً بيده قنينة من المتفجرات : «هل سمعت الحديث أيها الزنجي؟ هل ترى



هذه القنبلة ، سأقذفها في شباك محل والدك ، سوف تبعث فيه الدفء ، وتشعره بأنه عاد للغابات مرة أخرى . . ها . . ها . . ها . . » وبدأ يتمايل على الكرسي وهو يقهقه بجنون وشاركه في الضحك جونسي» وذو اللحية الحمراء .
تذكر «زافر»تحذير جده الذي كاد ينساه فقد قال: إن مشاكل التفرقهالعنصرية قد تحدث لذلك يجب عليهم اتباع القوانين لئلا يثيروا أيه مشاكل كانت أسرة «زافرأسرة كادحة وبعيدة عن المشاكل .شقوا أفرادها طريقهم في

الحياة وكرسوا حياتهم على المحل الصغير الذي يمتلكونه وعلى المعامل التي كانوا يشتغلون فيها لم يسيئوا لأحد ، ولم يؤذوا أحداً فلماذا يكرههم البريطانيون؟ واعترف «زافر»لنفسه بأنه متحيّر ولم يعد يفهم شيئاً .
فجأةً خفّض الرجال أصواتهم . وأدرك «زافر» أنهم يناقشون أمره . عبثاً حاول أن يستمع لهم ، وتساءل «زافر» ماإذا كان هو الخلاف علامة جيدة بالنسبة لأمره .
وقفوا مستعدين للذهاب ، يقودهم ذو اللحية الحمراء ، وعندما مرّوا من جانبه ، أظهر ذو القبعة الصوفية أسنانه «لزافر» وغيّر تقاطيع وجهه ليُخيفه ، ثم أشار بأصبعه إلى حنجرته ، وكأنه يذبحه . ثم سمع «زافر» صوت ضحكته الهستيرية تدوي في القبو .
شعر «زافر» بالمرض ، وكان على وشك البكاء . تمنى أن يذهب أحد إلى المرافق ، ليجد رسالته قبل فوات الأوان .
لم يستطيع الأطفال اللعب في ساحة المدرسة في أثناء الأستراحة إذكان الجو رطباً ، فأضطّروا إلى البقاء في صفوفهم . أما الأستاذ .لوفتي فأنضم ، إلى المعلمين لشرب القهوة .
وكانت المعلمة «فيروثر»هي المسؤولة عن مراقبة التلاميذ ،

فكـانت تطل عليهم من الباب ، لتتأكد من عدم وجود مشـاكسـات وكـان تلاميذ الصف الرابع ل في صفهم ، يتصارعون ، أويرسمون وجوهاً على السبورة، أويتناقشون .

جلس «فـزر» ، و«بـام» ، وسلي يتقاسمون ما عندهم من حلوى وفواكه . كان «وسلي يقسم تفاحته إلى أربعة أقسام بسكين قديمة وجدها في دولاب أدوات الرسم والاعمال . وكان «وتومو»يفتش في علبة الفول السوداني عما بقي فيها . أما «فزر» فكان مستلماً إذلم يكن عنده مايشارك به أصدقاءه وكانت «بام» تضع بسكويتاً في هيئة قلب بجانب كل جزء من أجزاء التفاحة ، وهي تبتسم .

نظر «فزر» إليها ليرى ماإذا كان البسكويت الذي هو بهيئة القلب يعني شيئاً آخر . كـان سعيداً بهـذا الشعـور ، وتسـاءل في نفسـه ماإذا كان الاخرون يشعرون بالشيء نفسه ولكنه تمنى أن يكون هو الوحيد الذي يشعر بذلك .

ثم بدأ الاصدقاء يتبادلون الحديث .

بام «كنت أفكر في شيء»

وبعد لحظات من الصمت ، قال فزر مازحاً

فزر: أنت ترهقين نفسك «بالفكير»

وسلي : «أعطها فرصة لديها أفكار جيدة حقاً»

نظرت «بام» الى «فزر» نظرة تحد وقالت :

بام : «أظن أن «زافر» محتجز في قبو المدرسة»

فزر: «أنت مجنونة» وضحك لكنه شعر بالخجل تجاهها إذ قبل وقت قصير ، أعطته البسكويت .

تومو: «لقد قلنا ذلك مراراً ، ثم من الذي أختطفه؟

بام : «لاأعرف . لكن الشي الذي أعرفه حقء هو أنه نزل الى القبو، ولم يخرج منه ، ففي أي مكان آخر يمكن أن يكون؟

جلس الأولاد الثـلاثـة في سكـون لمواجهـة هذا الكلام المعقـول بام : «كـان لديه متّسع من الوقت ليلتقط الكرة ، ثم يصعـد السـلالم ، لكنَّ المجرمين ضربوه على رأسه ، وقيدوه ، وحبسوه في الحجرة التي خلف السخان .

تومـو: «ربـما ذهب هنـاك وأغلق الباب خلفه مصادفة »

فزر: «لوكان هذا ماحدث ، لرفس «زافر» الباب وسمعنا صراخه»

بام «غير مكترثه بأقوالهم) : «يجب أن ندخل تلك الحجرة »

تومـو: «لقد جنت «بام» ، لقد رأيت الباب إنه صلب

«وسلي : «أنت تحتاجين الى الات حربية لدك ذلك الباب

فزر: «وسيكـون «جـونسي»العجـوز واقفاً ، ونحن ندك الباب» تومو (ضاحكاً) : ربما سياعدنا»
بام : «اضحكوا أيها الاغبياء، أنا أعرف كيف يمكننا أن نصل الى القبو:
قال الأولاد الثلاثة : «كيف؟أخبرينا!»
بام : «حسن سأقـول لكم : سنـدخـل القبـو من خلال الحاجز المشبك الذي على الجدار»
فزر: «أيّ حاجز مُشبك؟»
بام : «ذلـك أيهـا الغبي . »قـالت وهي تشـير إلى الحاجز المشبـك المعـدني الـذي على الحـائط في مؤخرة الصف
فزر: «سندخل من هناك؟»
بام : «نعم . كل ماتحتاجه هو «مفك لبراغي»
وقف فزر ليلقي نظرة أفضـــل على الحـــاجـز المشبـك، واستطاع تميز سته «براغٍ»
فزر: «أنت ما تزالين مجنونة ،حتى لوفتحنا الحاجز، كيف سنصل الى القبو ؟لاتنسي أننا في الطابق الأول، ستقعين في القبو، وتكسرين عنقك»
بام : «أنت المجنون، أنت لاتستخدم مخك الذي ولدت به . إذا دخلنـا من الحـاجـز المشبك الذي في صف من

صفوف الروضة في الطابق الارضي فستتمكن من النزول الى القبو بوساطة حبل»
وسـلي : «تخيلوا أننا سـندخل في صف الروضة ،ونقول للمدرسة : اسمحي لنا كي ننزل إلى القبو من الفتحة التي في الحائط، ستكون مسرورة بذلك ،وستمسك لنا بالحبل ،ونحن ننزل . »
ضحـك الجميع حتى «بـام»ثم أكمـل «وسـلي» حـزاحه
وسلي : «وأما الأستاذ «لوفتي» ، فتذهب له، وتقول له : من فضلك ياأستاذ «لوفتي»هل تسمح بأن تمنحنا إجازة في درس الـــرياضيات كي ننـزل الى قبـو عن طريق صف الروضة؟ سيقول : بالطبع أسمح لكم ،ولماذا لاتأخذون إجازة نهار كامل ؟»
ضربت«بام»المنضدة بقبضة يدها، وقالت بعصبية :
بام : «لاأدري لماذا أضيع وقتي معكم، أنتم أغبياء وكان يجب أن تنتقلوا الى صف «الست بسترد»للأغبياء من قال : إننا سننزل إلى القبو في اثناء وقت الدوام؟»
سألها الثلاثة : «متى إذن؟»
بام : «سنعود للمدرسة بعد انتهاء الدوام ،قبل أن تغلق البـوابة، سنتسلل إليها، ونختبيء في الساحة حتى يعود



المنظفون إلى بيوتهم. سنحتاج إلى مفك براغ كبير ومصباح ـ وحبل طويل. وعندما يخلو الطريق ـ سنخلع الحاجز المشبك، ونربط الحبال حول أجسامنا وننزل الى القبو. إذا كان «زافر» هناك فسننقذه، وإذا لم نجده.. وتوقف عن الكلام

تومو: «وكيف سنخرج إذا أقفلت أبواب المدرسة؟

بام (بشفة): «بمنتهى السهولة: نفتح شباك الصف من الداخل ونقفز الى الساحة، ثم نتسلق السور، وننزل في ساحة الكنيسة.»

فزر: «هذا الأمر يحتاج إلى تفكير.

وسلي: «لاأعرف ماإذا كانت و الدتي ستسمح لي بالخروج من البيت بعد تناول الشاي، انه سيكون وقت درس الموسيقى»

فزر: «أنا أيضا، فوالدتي تقول: إن علي ألا أصل الى شارع شكسبير بسبب الاشتباكات.

بام (بسخرية وتحد): أنتم جبناء»

وقبل أن يردوا على هذا التحدي، سمعوا صوت الجرس معلنا نهاية الفرصة، وجلس التلاميذ في أماكنهم، بعد أن التقطوا الأوراق التي في هيئة صواريخ، ومسحوا السبورة بدوا وكأنهم كادحون، عندما دخل الأستاذ لوفتي كان الدرس شيقاً، وكان «لوفتي» يشرح ويصف لهم حالة العمل في العهد الفكتوري، وكيف كان الأطفال ينزلون في المداخن لتنظيفها. وبدأ فكر «فزر» بالابتعاد من الدرس والاشتغال بخطة بام.

كانت بام هي الوحيدة التي تفكر فكرت في رمي الكرة في القبو لتعرف اين ستتدحرج . وهي التي ربطت تفاصيل اختفاء زافر بعضها ببعض إذ أيقنت أن زافر نزل الى القبو، ولم يظهر بعد ذلك ، فلابد من أنه مايزال هناك . والأن هي تفكر في خطة لانقاذه . لماذا لم يفكر هو في ذلك ؟ثم أدرك أن تفكيرها أعمق من أن يصل إليه حتى «تومو» و «وسلي» لم يتوصلا الى شي من هذه الافكار، بل لم يتوصلا حتى الى اقتراح لحل المشكلة ستصير «بام» قائدة المجموعة بلامنازع .

ربما ستنجح خطتها ،مع قليل من الحظ .

الفصل الثالث عشر



وضع الأستاذ «بوتس» الأوراق التي كانت في يديه على المكتب، والتقط سماعة الهاتف، ليرد عليها . عندما سمع صوت المتحدث، جلس معتدلاً وقال : «نعم ، حضرة المفتش. . . أنا فاهم . . . نعم . . هذا حسن . . مع السلامة حضرة المفتش . »

فكر لحظة ثم ضغط على أحد أزرار جهاز نظام الاتصال، ليتحدث الى السيدة «براون»سكرتيرة المدرسة

-«من فضلك، هل يمكنك المرور بجميع الصفوف، واخبار المدرسين أن الشرطة ستجري تفتيشاً في المبنى؟

- . . . نعم ،فهم الان في طريقهم الى هنا . أخبري السيد «جونسي»أيضاً شكراً»

فرك «بوتس»خديه ، ثم تناول الأوراق التي على مكتبه وهو يفكر: لقد بداله أن تفتيش الصفوف هو أمر غير منطقي فأين يتوقع رجال الشرطة العثور على الجثة؟

-. . . . الجثة؟ فزع «بوتس»من هذه الكلمة . »وطرد هذا التفكير المشؤوم من ذهنه ، ثم ركز اهتمامه على الأوراق وهو يفكر: كم كتاباً سيشتري للمدرسة بالنقود التي بقيت في صندوق المدرسة.

أخذ «زافر» غفوة غير مريحة .وكانت خيبة الامل بعدم العثور عليه حملاً ثقيلاً.كان يحسب الرسالة التي تركها أنها ستنقذه لابد من أن شيئاً قد حدث بعكس ما يتمنى لكن لابد من أن أحد قد ذهب الى المرافق وإذا كان قد ذهب أحد فماذا حدث لنداء الاستغاثة؟وبشعور من الحيرة وفقدان الامل غطى رأسه وغط في النوم .

استيقظ «زافـر»من نومـه على صوت دخـول الحـارس المفاجىء، إذ كان غاضباً ،ويبدو عليه القلق . وبحركة قوية حمل الصندوق الذي يحوي القنابل خارج الحجرة، ثم سمع صوت الفحم وهو يتساقط .كل هذه الاصوت أربكت «زافر».

وبعـد لحظات جاء «جـونسي» مرة أخـرى أمسك بأحد الصناديق الكبيرة من الكرتون التي تضم أوراق المرافق، أفرغ محتواها على الارض، ثم أمسك «بزافر»من سترته، وقرب قبضته يده الاخرى من وجهه وقال:

-«والان، إذا نطقت بكلمة واحدة، أو اختلست النظر من هذا الصندوق فسوف أقتلك !هل فهمت؟

تسلل الذعر الى «زافر»في حين فك الحارس الحبال التي ربط «زافر»بها هل وجد «جونسي»الرسالة سيعاقبه؟

وتوسل «زافر»قائلاً: «سيد، «جونسي»أرجوك لاتؤذني أرجوك!»

كان «جـونسي»يتعـرق بسبب الجهد الذي قام به، ربط ذراعي «زافر»وساقيه ثم أدخل منديلاً في فمه ، ليمنعه من التحدث أو إصدار أي صوت.

إزداد رعب «زافر»عندما أخرج «جونسي»سكيناً من جيبه

لكنه انحنى على الصندوق وأحدث فيه فتحتين ثم استدار نحو زافر:

ـ«اسمع ! ساضعك في هذا الصندوق وأغطيك بورق المرافق يمكنك التنفس بوساطة هاتين الفتحتين، هل تراهما؟ لاتحدث أي صوت وإلا . . . !»

بعد أن أنهى «جونسي»تهديده، حمل «زافر»ووضعه في الصندوق استلقى على جانبه وركبتاه قرب ذقنه وكان أنفه قريباً من أحدى الفتحتين ثم شعر بورق المرافق برص عليه بعدها أغلق «جونسي الصندق أصبح الصندوق مظلما ودعا «زافر الله الا يقتله «جونسي»وبدأ «زافر»يشعر بصناديق أخرى يضعها «جونسي»فوق الصندوق الأول

كان لوفتي يوبخ تلاميذ الصف الرابع ل بسبب أجوبتهم السيئة في درس اللغة، عندما دخل الشرطيان، فتحولت نظرات لوفتي من النقد اللاذع الى الاهتمام والجد والتوقعات فتش الشرطيان دولاب الصف المليء بالدفاتر، والأصباغ ونسخ من صحف قديمة.

راقب «لوفتي التفتيش بنفاذ صبر ويداه على خصره إذ هذا درس آخر من دروسه قد شغر وبعد أن أنهى الشرطيان التفتيش، حدقا بالجدران والسقف دمدم أحدهما قائلا:

الايوجد مكان أخر يمكن أن يختبىء به الفتى؟

أجابه لوفتي : أؤكد لك أن الفتى المفقود ليس هنا

ـ«شكرا» قال الشرطيان وهما يغادران الصف وابتسما للتلاميذ الذين كانوا سعيدين بانقطاع الدرس قال لوفتي : «والان لنعد الى الدرس !»

قال «فزر»: «أستاذ، هل يمكننا أن نذهب، لنساعد الشرطيين في البحث»

أجابه لوفتي بشدة: «كلا، لايمكنك، لاسيما أن أجوبتك كانت مخجلة في درس اللغة»

خجل «فزر»وتمنى أنه لم يتفوه بهذا الكلام

●●●

في الوقت الذي وصل فيه الشرطيان للقبو، كان «جونسي»قد تغلب على الذعر الذي سببته أخبار السيدة «براون». إذعندما أخبرته بقدوم الشرطة، انطلق بسرعة نحو القبو، والافكار تتزاحم في مخيلته، وقبل الوصول الى مكان وجود زافر كان قد ابتكر خطة لتغطية كل الادلة التي تشير الى شريكيه، والقنابل التي كانوا يصنعونها. ووجودزافر».

أرشد «جونسي»الشرطين الى حجرة السخان التي كانت

مظلمـة، على الـرغم من وجـود الإضـاءة فيهـا. فتش الشرطيان تحت المنضــدة، وخلف الالــواح الخشبية، وخلف ألابـواب. وعندما نظرا الى أعلى، شاهدا خيوط العنكبوت المتدلية فنفضا رأسيهما واكتافهما.

سأل الضابط: هل هذا هو المكان الذي جاء الفتى اليه؟

فأجـابه «جونسي»: يقول الاطفال إنه أتى الى هنا خلف كرته التي تدحرجت هنا. أنا لم أكن موجوداً، فمن يدري الى أين ذهب؟

أما الشرطي، فوجد الباب التي خلف «السخان»، فسأله:

-«إلى أين يؤدي هذا الباب؟»

أجـابـه «جـونسي»: «تحتفظ هنـا بالأدوات الاحتياط «والخردة »وأنا دائما أقفلها بنفسي.

تظاهـر جونسي»أنـه يفتش عن المفتاح بين مجموعة من المفاتيح حتى وجده، فقال بنبرة اعتذار:

-«إن المكان متسخ»

دخل الشرطيان، وشاهدا الرحلات المنكسرة، والكرسي المخلعة، والمعدات القديمة، والأوساخ وكلها كانت مواد قابلة للاحتراق، فقال الشرطي:

-«هل ان قسم الحريق على علم بوجود هذه الاشياء هنا،

في حجرة السخان؟

فأجـابـه جونسي دفـاعاً عن نفسه: «. . إن. . وجود هذه الأشياء هنـا هو حالة مؤقته فأنااتخلص منها قطعة بعد أخرى باحراقها في السخان.»

هزّ الشرطي رأسه، وهوغير مصدق مايسمعه:

-«لوعلم القسم بذلك، لوجه لك أقصى عقوبة: وصل الشرطيان الى مكـان وجـود ورق المـرافق، المكان الذي كانت فيه القنابل قبل أن ينقلها «جونسي». كانت الأرض مبللة بسائل ما فقال «جونسي»موضحاً ذلك

-«هــذا بسبب عامـلات التنـظيف إنهن غير حذرات، فواحدة منهن أسقطت علبة من علب تلميع الأرض هذا الصباح، فلهذا تريان الارض مبللة»

كانت رائحـة ملمع الأرض تملأالحجرة، وكانت كفيلة بمحـو أي أثـر لرائحـة البنـزين الـذي يصنعـون منه القنابل. ضحك «جونسي»بمكر في نفسه إذكان الشرطي على بعـد خطوة واحـدة من مكـان «زافر»، وكل ماكان يحتاجه هوقليل من الذكاء والخيال.

رفس الشرطي الصندوق وقال: «يوجد ورق مرافق أيضاً، كلها مواد قابلة للاحتراق»

أماالأخر فكان يحدق في أحد الممرات، الذي كان مليئاً بخيوط العنكبوت منذ أجيال متعددة، وأحدثت زخرفة في زوايا الجدران والسقوف ، حدق أكثر، ثم تراجع بسبب وجود أكوام من القمامة، فقال «لجونسي»:

ـ«ألاتنظف هذا المكان ولومرة واحدة ؟

قال«جونسي» بعدم اكتراث: «كل هذه الأوساخ و«الخردة» موجودة هنا قبل التحاقي بالعمل في المدرسة أنا لم أضعها هنا، فلماذا أنا أنظفها.»

سأله الضابط: «هل من الممكن أن يكون الفتى قدوصل الى هنا؟

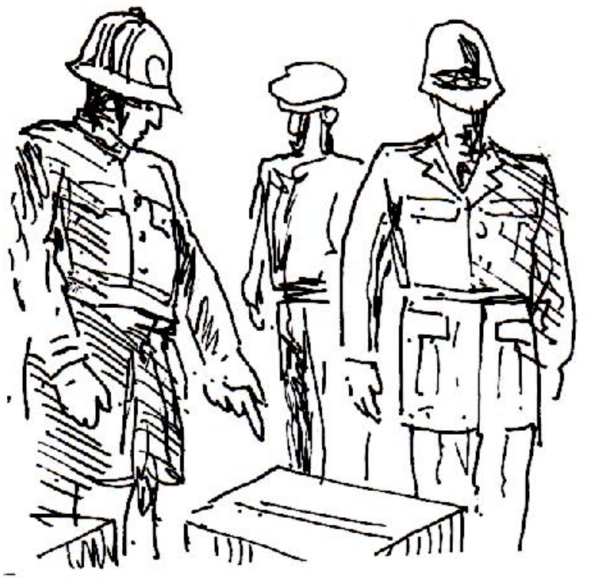
أجاب «جونسي»بتأكد وعزم ليقنع الشرطيين

ـ«مستحيل ، مستحيل أنا دائماً أتاكد من أن الباب مقفلة، ليس عندي غير مفتاح واحد وكما ترى فان هذا المكان لم يدخله أحد منذ سنوات.

أجابه الشرطي بصوت مليء بالازدراء: «أكيد، لم يدخله أحد منذ سنوات.

خرج الشرطيان من القبو، وعندما وصلا الى السلالم استدار أحدهما تجاه «جونسي» وقال:

ـ«يجب أن أقدم تقريراً الى قسم الحرائق بما رأيته في



القبو.»

شتمه «جونسي بينه وبين نفسه، ثم أغلق باب القبو.

●●●

بعد أن غادر الشرطيان المكان تذكر «جونسي» «زافر»، فذهب الى القبو. فتح الصندوق ، وأخرج ورق المرافق ،وهو يشتم ويلعن، ثم دفع الصندوق ليسقطه على جانبه، وقال:

ـ«هيا! أيها الشيطان الأسود، أخرج من هنا!»
كان «زافر» يشعر بأنه وشك أن يموت ، كان يتعذب والمنديل في فمه والقيود في قدميه وساقيه . كان يشعر بالحرارة وشبه الاختناق لقلة الهواء النقي . ارتطم «زافر» بالأرض وهو يئن طالباً من «جونسي» إخراج المنديل من فمه فك «جونسي قيوده، وهدده قائلاً :
ـ«الزم الصمت، وإلاقتلتك»
بقي «زافر» مستلقياً على الأرض ، يفرك ساقيه ليخفف بعض الآلام التي يشعر بها واخذ أنفاساً عميقة من الهواء النقي .
رفعه الحارس بخشونة وقيده مرة أخرى بالحبل وهو يلفه حول خصره . والآن أصبح باستطاعته الجلوس على الكرسي القديم .
لم يفهم «زافر» لماذا وضعه «جونسي» في الصندوق ولماذا أخرجه . لكنه حمد الله لأنه حر مرة أخرى بعد أن خشي أن يكون الصندوق هو كفنه . وأدرك أنه من الأحسن ألايسأله أيه أسئلة . كان «زافر» قدسمع بعض الأصوات من خلال الصندوق لكن أصوات من كانت؟ ثم شعر بأن الأرض مبللة في الموضع الذي كانت توجد فيه القنابل

لماذا؟ وماهذه الرائحة؟ كل شيء كان مربكاً ومحيراً بالنسبة له .
نادى «زافر» على «جونسي» قبل أن يخرج، وقال له :
ـ«أنا جائع»
ـ استمر على الجوع إذن هل تعتقد أني متفرغ لاطعامك؟
فترجاه زافر قائلاً : «اريد الذهاب الى البيت :
ـ«لن تذهب الى البيت أبداً!» ثم خرج وأقفل الباب خلفه .
جلس «زافر» وهو يفكر . . لن يكون حراً مرة أخرى؟ ولن يرى والديه بعد الأن؟ لم يكن «زافر» يرغب في الموت فهو مايزل صغيراً . غمره حنين لوالديه ، ولروهيما و لجديه إنه لايريد الموت في قبو المدرسة القذر ثم تجمعت الدموع في مقلتيه ، وسقطت على خديه .



تحدث «بام» أصدقاءها: بقولها «والآن، من منا الجبان؟
نظر «فـزر» و«وسـلي» وتومو» أحدهم نحو الآخر. كانت فكرتها فكرة مجنونة قد تنجح. لكنها من المرجح لن تكون غير متاعب وجهودات ستذهب سدى ارضاء لغريزتها لكنهـا تحدتهم ـ فراحت تناديهم بـ جبناء ـ واذا كانت

مستعدة للقيام بالخطة فانهم إن لم يتعاونو معها فسيبدون حقاً مجموعة من المغفلين الجبناء وستتخذ «بام منهم موقفاً على ذلك.

فقال «فزر» : «حسن سأذهب»

وسلي: «وأنا كذلك.»

تومو: وأنا أيضاً»

كان الاصـدقـاء الاربعـة يدفئـون أنفسهم قرب أنابيب التـدفئـة المركزية قبل الرجوع الى البيت آخر من يغادر المدرسة، فقد احتجزهم «لوفتي» في الصف للقيام ببعض الترتيبات مثل إزالة الاوراق، والاقلام القديمة، والمماحي من على أرض الصف.

شعـر «فزر» بأنه يجب أن يقوم بالمسؤوليات المترتبة على تنفيذ هذه الخطة واذا لم يكن حذراً فان «بام»ستتولى أمر القيادة في المجموعة. هذا فضلاً عن أن كرته هي أساس هذه المتاعب، فقال باصرار وثقة:

ـ «حسن، فقد اتفقنا على القيام بالخطة يجب أن نلتقي قرب الكنيسـة في السـاعة السادسة الاربعاً تقريباً سأل وسـلي: «ولمـاذا هذا الـوقت بالذات، ربما لن أكون قد انتهيت من شرب الشاي مع والدي.

شرح له «فـزر»: «يبقى عمال التنظيف في المدرسة حتى الساعـة السـادسة بعدها يقفل «جونسي»الابواب، ثم يذهب الى البيت لذلك يجب أن نتسلل من الباب قبل أن يغلقها ،ونختبي في المدرسة حتى يخلو لنا الطريق»
بام: «يجب أن نصـل الى هنا في السادسة الاربعا مهما حدث من شيء.
فزر: «حسن، اتفقنا. والان ماذا سنحتاج من معدات؟ أمسك بقلم ليكتبْ مايحتاجونه وقال: «أولاً، نحتاج الى مفك البراغي كي نتمكن من انتزاع الحاجز المشبك من الحائط .ثانياً : حبل كي ننزل عبر الفتحة الى القبو»
بام : «سـأجـلب معـي حبـل والـدتي لنشر الغسيل»
فزر: «يجب أن يجلب كل واحـد منـا حبـلاً معه، ربما نحتـاج إلى المـزيد من الحبـال»وثالثاً نحتاج الى مصباح ضوئي . .من يمتلك واحداً؟
تومو: «أستطيع أن أجلب مصباح دراجتي . »
بام: وأنا عندي واحد في غرفتي سأحضرة» فزر: حسن، مفك براغ ،وحبال، ومصباح . .هل تقترحون شيئاً آخر؟
لم يفكر أحد في شيء آخر .فقال فزر:
ـ «نلتقي إذن في السادسة إلا ربعاً مساءً

●●●

جلس «فـزر»عـلى كرسيه، وهـو يشعـر بمنتهى الـراحة والرضى. فالصورة التي رسمها في ذهنه، عن التسلل الى المدرسة ومخالفة القانون وعن أي شي ممكن أن تؤدي إليه الخـطة، لم تقلل من شهيتـه إذ تنـاول«سنـدويجـات البركر»التي أعدتها والدته بشهية تامة ثم قال لوالدته:
ـ«من فضلك، هل يمكنني الخروج؟»
أشرق وجـه السيدة فيتـزبـاتـرك»فرحاً لأدب ابنها غير المعتـاد، إذ بدا لها أن تعليقـاتها المتواصلة عن الأصول والآداب قد أثمـرت، وأدركت أن «فـزر»بـدأ يكـبر، وسيصبح ولداً ذا أخلاق حميدة، وستفتخر به ، فأجابته
ـ«بالطبع يمكنك الخروج»
ـ سأتغيب لبعض الوقت «قال وهو ينتظر الجواب. كان والـده قدتـرك المائدة، وجلس على كرسيه، وانغمس في قراءة جريدة المساء قبل ذهابه للمهمات الليلية أما والدته فكـانت تـنظف المائدة، وتفكر في أي عمل من الأعمال المنزلية ستبدأ به، ربما ستؤجل العمل كله بسبب مرضها .لم يبدُ على أحد منهما أنه قد سمع ماقاله «فزر» . ففهم من سكوتهما القبول، فغادر الحجرة .

وجد«فزر»في حجرة المخزن حبل غسيل وفي إحدى زوايا الحجرة سحب صندوقاً قديماً ، فتحه، ووجد مجموعة من المعدات التي يستعملها والده في إصلاح مايتعطل في البيت. وبعد تفتيش دقيق وجد مفك البراغي »ربط الحبل على خصره، ووضع مفك البراغي في ردف جيب سترته، وغادر البيت بهدوء.

كانت السماء ملبدة بالغيوم ،وكانت أوراق من القمامة تتطاير مع الرياح لم ير«فزر»أحداً يعرفه، وكان الناس يسرعون الى بيوتهم ،بشوق لقضاء الامسية في البيت، وشوق لعطلة نهاية الاسبوع .أما في شارع شكسبير، فبدا كل شي مألوفاً لم تعد هناك تجمعات ولا مراهقون متجمعون في زوايا الشارع ربما كان الوقت مايزال مبكراً.

عندما وصل الى شارع المدرسة، وجد البوابة مفتوحة ولم يجد أي دليل على وجود «جونسي»أو الرجل «ذي اللحية الحمراء». سار «فزر»بسرعة الى الكنيسة، فوجد أصدقاءه في انتظاره.

ـ«مالذي أخرك، ظننت أنك لن تأتي تجاهل تعليقها، ونظر اليها نظرة ازدراء ،وقال للجميع

ـ«هل أحضرتم كل شي؟»

طلب منهم ذلك بوصفة القائد وكان من مسؤوليته التأكد من كل شيء قبل الاقدام على الخطة.

كانت «بام»قد أحضرت حبلاً ومصباحاً ضوئياً ،أما «تومو» فأحضر مصباحاً ومفك براغ»، وأحضر«وسلي»«مفك براغي»وبعد أن تأكد «فزر» من ذلك قال:

ـ حسن .لم يكن هناك أحد في ساحة المدرسة عندما مررت من أمامها لنر الان ماإذا كان بامكاننا الدخول

ـ هيابنا!

قال «وسلي»متشوقاً : هذا أمر رائع أفضل بكثير من مشاهدة «التلفاز»

وقف «فزر»على ذلك بصمت ،وقلبه يخفق خفقاناً سريعاًإذ إن الوقوع في يدي ذلك الرجل ذي اللحية الحمراء »ليس أمراً مسلياً

أوقفهم «فزر»قبل الوصول الى الساحة ،نظر حوله وعبر البوابة، وقال : «إن الطريق خال ليس هناك أحد سأذهب أنا أولا وأختبىء في حجرة المرافق .

إنتظروا إشارتي قبل أن تدخلوا!»

دخل «فزر الى ساحة المدرسة ،والقى نظرة على السلم



القبو خوفاً من ظهور «جونسي»أو ذي اللحية
الحمراء» المفاجيء. نظر الى الشبابيك ليتأكد من عدم
وجود أحد المنظفين. سار بمحاذاة الجدار حتى دخل
البناية وتوجه الى المرافق قرب صفوف الروضة.
دخل الى المرافق، وأشار إاليهم من الشبابيك. ساروا
علىء رؤوس أصابعهم بسرعة، حتى وصلوا الى المرافق
وأغلقوا الباب خلفهم.

حذرهم «فزر»: سيحضر«جونسي»في خلال بضع ثوان
ليقفل باب المرافق، فيجب أن نجد مكاناً لنختبيء فيه».
كان الممر خارج المرافق خاليا، وسمعوا أصواتاً بعيدة
أحدثها ارتطام دلاء بالأرض وأصوات عاملات التنظيف
،وهن ينظفن الطابق الاعلى. ساروا على رؤوس
أصابعهم بحذر ودخلوا أحد صفوف الروضة، وأختبأوا
تحت الرحلات بحيث لايتمكن أحد من رؤيتهم.
انتظروا طويلا، ولم يأت أحد ثم سمعوا وقع اقدام
«جونسي»وهو يسير في الممر، ثم سمعوه وهويفتح باب
المرافق، ثم يقفله بعد أن تأكد من عدم وجود أحد ظلوا
في أماكنهم حتى اختفى تدريجياً صوت وقع أقدامه.
بعد فترة من الانتظار، نهضوا من أماكنهم، وفتحوا أحد
الشبابيك، ونظروا الى بوابة المدرسة فوجدوها مغلقة
كذلك كانت جميع الابواب الاخر انتابهم شعور غريب
بسبب وجودهم في المدرسة الكبيرة وهي خالية من أصوات
الاطفال. ثم قال «فزر»
ـ«لنبدأ العمل فهذا الصف مناسب»
كان الحاجز المشبك على ارتفاع نصف متر من الارض.
أبعدوا الرحلات والكرسي ليتمكنوا من العمل بحرية

«ووضعوا معداتهم على الارض قرب الحاجز. حمل «فزر»مفك البراغي »وقال: حسن افسحوا لي المجال»
لم يكن المفك الاول مناسباً، كذلك

كانت رؤوس «البراغي »تعتليها طبقات متعددة من طلاء الجدران شعر «فزر»بأنه أخفق بوصفه قائداً لهم، فرمى (مفك البراغي)على الارض وتراجع.
تقدم «تومو»بسرعة ومعه«مفك البراغي »وعندما وضعه على رأس «البراغي»أدرك أن المفك صغير بالنسبة لرأس «البراغي»الكبير فقال: «أعتقد أننا هزمنا»
فزر: «لقد نجحنا بوصفنا لصوصاً » . كان فزر»يفكر بالسهولة التي يقتحم بها اللصوص المنازل في «التلفاز»
بام : «عندي فكرة. يوجد في الطابق الأعلى في صفنا، دولاب الأعمال، هناك رأيت مرة منشار معاون صغيراً ، يمكن أن نستعمله لازالة الطلاء من على البراغي»
فرح الاصدقاء بهذا الامل في النجاح.
صعدوا الطابق الاول بهدوء وبحذر، على الرغم من علمهم بأنهم وحيدون في تلك البناية الكبيرة وفي صفهم فنشوا دولاب الاعمال ـ كما اقترحت «بام» ووجدوا منشار المعادن الصغير.



قالت بام: «هذا سينفعنا. اجلبو معكم مطرقة! ربما نحتاجها.»
عادوا الى صف الروضة مرة أخرى وأخذ «فزر على عاتقه مسؤولية إزالة الطلاء من على رؤوس «البراغي»وبعد المحاولة نجح في إزالته عن برغي واحد.
وسلي: «عمل جيد لنحاول نحن أيضاً.

بام : «كانت هذه فكرتي ، يجب أن أحاول أنا »وقف «فزر »بعيداً بعد أن أدرك حقهم في العمل وفي غضون خمس دقائق، تمكنوا من إزالة الطلاء والان جاءت مرحلة فتح البراغي .

الان صار «مفك البراغي »مناسباً فحاول «فزر»إدارة المفك بثقة أوكان يتعمد ذلك ـ إذكان الشيء الوحيد الذي يدور هو قبضته يده وبقي البرغي ساكنا في مكانه. حاول «فزر»إدارته مرة أخرى وأخرى من دون جدوى ، حتى تألمت يداه من شدة الضغط .تراجع وهو يفرك يده المتلمة .

تقدم «وسلي»وعبثا حاول إدارة البرغي وبعده تقدم «توم»فاقترحت بام : «حاول إدارة برغي آخر»فتقدم توم وبدأ بادارة المفك بقوة حتى شعر بأن صدره على وشك الانفجار وفجأة تحرك البرغي ملمتراً واحداً، وقال لاهثاً

ـ لقد تمكنت منه». تجمع الاصدقاء ،حوله، ليشجعوه ، حتى دار البرغي ، وسقط على راحة يده الاخرى فحمله رمزاً للانتصار.

حاول «فزر»فك البرغي الثاني لكنه لم يستطيع كذلك وسلي .حاولت «بام»فك برغي آخر شدت عضلاتها

وأخذت نفساً نفساً عميقا، وضغطت على البراغي بشدة، وحاولت إدارته، فتحرك قليلاً، فقالت وهي فرحة :

ـلقد نجحت»

اقترب منها «فزر»ليأخذ مكانها، وقال لها :

ـ أنا بدأت بفك البراغي ، ويجب أن أنهي العمل لم تكترث له«بام»وبقيت تحاول حتى سقط البراغي في يدها الاخرى وقالت بتحد: «مارأيكم؟»

حاول «فزر»جاهداً أن يفك برغياً آخرحتى جرح يده لكنه استمر في المحاولة حتى نجح .ونجح وسلي في فك البراغي الاخر. أما «تومو»فحاول جاهداً ، لكنه لم ينجح .

فضربت «بام »بالمطرقة رأس البراغي لكن من دون جدوى ، واستمرت «بام» في الطرق و«تومو» في المحاولة لادارته حتى تمكنوا منه. والان تخلصوا من كل البراغي . لكن الحاجز ظل على الحائط

قال «فزر» : هذا أمر مضحك .

تفحصو الحاجز ليعلموا مابه

سأل وسلي: لماذا لم يسقط الحاجز ؟لقد أزلنا جميع البراغي . »

بام : «ذلك بسبب الطلاء . »

ثم ضربت بالمطرقة على الحافة العليا للحاجز، وضربت مرة أخرى حتى سقط الحاجز على الأرض فجاة فقفزت «بام» الى الوراء لتتفادى من سقوطه على قدميها.

وابتسم الجميع لهذا الانتصار. ثم نظروا خلال الفتحة، فكانت مليئة بالسخام والأوساخ. كانت أوسخ فتحة رأوها في حياتهم، وكان عليهم أن ينزلوا من خلالها. أخذ «فزر»مصباحاً ضوئياً ، بدت الفتحة له وكأنها مدخنة لم تنظف أبداً. كانت مساحتها زهاء ٤٥ سنتمراً مربعاً، وكانت تؤدي عمودياً الى القبو وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار منه . لمس باصبعه باطن الفتحة ، فوجد إصبعه ملطخاً بالسخام .

قال «وسلي »وهو يفكر بوالدته «ستتوسخ ، وسنعاقب أشد العقاب عندما نعود إلى بيوتنا»

بام : «هل سيتراجع أحد منكم؟»

فزر: «هل سيتراجع أحد منكم؟»

فزر: «هيا لنعد الحبال!»

اختاروا أطول حبل ، ثم قال تومو: «إنه ليس متيناً، لنضم الحبال الثلاثة معاً ونعقدها بين قدم وآخر، وهكذا نستطيع مسك الحبل على نحو أفضل عند النزول.

كانت بالقرب منهم قضبان معدنية للتدفئة المركزية فربطوا بها إحدى نهايتي الحبل.

سألت بام : «من ينزل أولاً؟»

فزر: «أنا قالها باصرار لئلا يفسح المجال لأي نقاش . لكنهم تجادلوا بشأن من يبقى حارساً في الصف ،ولم يوافق أحد منهم على بقائه وحيداً.

وأصرت «بام»على النزول معهم إذ إن هذه الخطة هي من تصميمها حمل«فزر»المصباح في جيبه، أدخل ، أولاً ، ساقيه في الفتحة، ثم أمسك الحبل، وبدأ بالنزول. وفي أثناء نزوله تصاعدت غمامة من السخام والتراب، وسبب له السعال . انتظر الأصدقاء بشوق ، حتى توقف الحبل عن الحركة، ثم جاءهم صوت «فزر» : وصلت»

تبعه في النزول «وسلي»، و«بام»وأخيراً «تومو» .

الفصل الخامس عشر



رأى الأصدقاء الأربعة ، ومن خلال الضوء الأصفر للمصباح ،جداراً من الطابوق القديم مكسواً بالسخام والأوساخ. كان المكان عبارة عن ممر شبيه بالنفق. قالت «بام»وهي تحدق في «فزر» :

ـ«تبدو وسخاً»

ـ «وأنت أيضاً»أجابها الثلاثة معاً ، وأحدهم يتفحص الأخر .كانت ملابسهم ،ووجوهم ملوثة بالسخام فبدا مظهرهم للناظر مضحكاً .

قال وسلي : «ستضربني والدتي عندما أعود للبيت»

أجابه «فزر»وهو يحاول إخفاء خجله من مظهره المضحك :

ـ«أنس هذا الموضوع !فلدينا مهمة يجب أن نقوم بها هيا لنتحرك !»

كان «فزر»هو القائد ، فحذرهم :

ـ«انتبهوا»إلى أقدامكم !لاتصدروا أي صوت !»

كان تحذيره حكيماً، اذ وجدوا أوساخاً واكياس قمامة كثيرة في طريقهم. كان الممر قصيراً، فوصلوا الى تقاطع في هيئة حرف T .نظر «فزر» إلى كلا الجانبين، ثم استدار، وهمس لهم، وهويشير الى اليسار:

ـ«أظن أن هناك ضوءاً في نهاية ذلك الطريق.»

وسلي: «أطفيء المصباح!»

فزر: «سيروا بحذراً»

كان هذا الممر أوسع من الأول . ساروا فيه بحذر وتجنبوا الاصطدام أحدهم بالآخر. ثم توقفوا قبل الوصول الى

نهـايتـه حيث مصدر الضوء. التقطوا أنفاسهم، وساروا لينظرو خلسة تجاه التي يأتي منها الضوء.

كانت الـزاوية تؤدي الى ممر آخـر وسـخ ومليء بالقمامة، كانت توجد في نهايته حجرة وكان يوجد مصباح متدل من السقف، جلس تحته ثلاثة رجال يتحدثون.

وجلس بالقرب منهم«زافر»، وهو مقيد بالحبال.

فتح الأربعـة أفـواههم، وأخـذوا نفساً عميقاً من شدة الصدمة. لكنهم تراجعوا بسرعة. كانت صدمة لهم أن يتأكدوا من حقيقة شك «بام». وبعد أن أفاقوا من صدمة الأكتشاف قرروا إلقاء نظرة أخرى ليتأكدوا من التفاصيل، فالنظرة الأولى أصابتهم بالحيرة والصدمة حتى إنهم لم يلحظوا التفـاصيل. وتذكروا أن يدونوها في مخيلتهم، وكانها كاميرة تلفاز.

رأوا رجلاً يرتدي قبعة صوفية، ورجلاً آخرذا لحية حمراء و... جونسي»

بام: «مارأيكم بهذا؟«جونسي»الحقير هو أساس كل شيء»

فزر: «أنا رأيت هذا الرجل ذا اللحية الحمراء أمس عند بوابة المدرسة وقد طردني»

تومـو: «يبـدو أنهم أنـذال. لاأريد الاشتبـاك معهم»

وسلي: «إن «زافر»أسير. لقد قيدوه بالحبال»

بام: «قلت لكم مراراً!إنه قد اختطف»

وقف الأربعة في العتمة لا يتجرأون على إشعال أي مصباح خوفـاً من افتضـاح أمـرهم. قال «فـزر»بعـد أن خسر القيادة: «والآن ماذا سنفعل لانقاذه؟»

وسلي: «لانستطيع الاشتباك معهم، فنحن لانملك أيه فرصـة للانتصـار سيتمكنـون من النيل منـا من دون شك»بام: «اتصلوا بالشرطة»

قال«فزر»وهو يستعيد ثقته بنفسه: «لنعد أدراجنا ونساعد بام على التسلق، لتـذهب الى حجـرة الأستاذ «بوتسي» ونتصل بالشرطة، في حين نعود، نحن الى هنا، ونراقب العصابة أما«بام»فتبقى في بناية المدرسة لانتظار الشرطة هل توافقون؟»

حنى الجميع رؤوسهم موافقـين، وسـاروا على أطـراف أصابعهم الى مكان الحبل المتدلي.

الفصل السادس عشر



قبل أن يصل الاطفال الى القبو، كان «زافر»جالساً يسمع الحارس، وهو يشعل النار في «السخان»وأدرك أن عمله على وشك الانتهاء،وسيتركه ليقضي الليلة بمفرده كان الوقت يمضي ببطء شديد، وكان «زافر»يحاول أن يقضي الوقت بأي شي ،كأن يفتش

جيوبه، وينفحص مرة بعد أخرى مابحوزته من أشياء.
وأعاد في خياله جميع مباريات كرة القدم التي شارك فيها، وكل هدف سجله، وكل مباراة شاهدها في التلفاز، وتخيل كل حلم يقظة يمكن أن يجعله يقوم بعمل بطولي.. ومايزال الوقت يمضي ببطء كان قلقه على أهله يعذبه. فكر في والدته التي ربما تكون طريحة الفراش بسبب القلق. وبالرغم جميع خلافاته مع «روهيما» غير أنها الآن تذرف الدموع لاعتقادها أنه مات. وجده، ربما يسير الآن في الطرقات ،ويسأل عنه الغرباء بلهجته الصعبة الفهم. وأصدقاء الأسرة ،لابد من أنهم يبحثون عنه في كل شارع وبناية. لكن لماذا لم يفكر أحد بتفتيش القبو؟
فزع «زافر» عندما فتح الباب بقوة، ودخل المحتجزون الثلاثة الذين لم يعيروا له اهتماماً. كانوا يحملون صناديق أخر من القناني الفارغة. وجلسوا ليتحدثوا ، لابد من أنهم فعلوا شيئاً بالقناني . كان من الصعب عليه أن يسمع الكلمات ثم ارتفعت أصواتهم فأستطاع «زافر» سماع نبذ من حديث ذي اللحية الحمراء» وهو يشرح لهم تفاصيل آخر خططه.
كان يتحدث بكل الثقة بالنجاح:

ـ«. . . ليلة غد هي الليلة المرتقبة ستتوقع الشرطة حدوث مشاكل عند اغلاق الحانات ، وسيكون رجال الشرطة على اهبـه الاستعـداد لذلك لن نترك في ذلك الوقت

. كـلا ، سندعهم يتدبرون الأمر مع السكارى وعندما يبتعدون عن الطرقات ، وتخلو الطرق مرة أخرى سيعتقد رجال الشرطة أن المتاعب قد انتهت . لكننا سننتظر ونصبر،

ثم نهجم في السـاعة الواحدة أوالثانية من بعد منتصف الليل تقريبا عندما يعتقد رجال الشرطة أن الناس نيام في بيوتهم ،

أشـار ذو القبعـة الصـوفية الى رأسه باصبعه القذر وقال : «تفكير جيد كاء ـ الذكاء هو الذي سيهزم الشرطة» ثم تابع ذواللحية الحمراء حديثه : «لكنا لن نهجم على الهدف الرئيس في البداية لدينا رجال في مناطق أخرى من المدينة هم الذين سيبـدأون بالمعـارك ،وإشغـال الحـرائق، والهجوم على مراكز الشرطة وذلك لسحب أفراد الشرطة الى تلك المناطق ليخلو شارع شكسبير لنا وهذا هو الوقت الذي سنبدأ بالهجوم فيه .

قفز ذو القبعة الصوفية بلهفة وقال : «أحرقوهم أحرقوهم

. . . النار . . . النار الجميلة»وفي نشوته هذه أسقط بعضاً قنـاني البنـزيل على الأرض، فتكسر الـزجـاج ،وسـال البنزين على الأرض. فصرخ ذو اللحية الحمراء :

ـ«أيها الأحمق، انتبه لماتفعل!حاول السيطرة على نفسك الغبية!

دفـع «جونسي»بقدمه القطع الكبيرة من الزجاج بعيداً، واستمر ذو اللحية الحمراء في التحدث عن الخطة :

ـ«عندما نسمع عن وقوع الاشتباكات سيأتي الى هنا أهم رجالنا ليجلب القناني ،وسيكون عندنا عدد كاف لرميها جميعـاً في كل بيت ومحـل يعود للزنوج في هذه المنطقة يجب ألا يفوتنا أحد .

سأله جونسي، وهو ينظر تجاه زافر: «وماذا بشأنه؟

فقال ذو القبعة الصوفية «لاتوجد مشكلة الذي يتبقى منه ستجده الشرطة في الخرائب المحترقة في إحدى المحلات تفتحت عينـا «زافـر»لماسمعه. بيته وأهله وأصدقاؤه هم الهدف تخيل البيت وهو يحترق، واللهيب يتصاعد منه . . أمه وروهيها . . وكاد يجن من العصبية والاحباط . كان يعلم بالـذي سيحدث لكن ليس باستطاعته القيام بأي شي . وعندما انتهى الثلاثة من صنع القنابل ،غادروا

القبو.
بقي «زافر»وحيداً مع أفكار ، وذهنه ملىء بالصور المرعبة وعبث حول التخلص من الحبل الذي يقيده تعب وانهار على الكرسي وبعدها وبالتدريج بدأ «زافر»يغفو .
فجأة استيقظ على أصوات ما، وسمع أصواتا أتيه من جهة اليسار في العتمة التي لايصل اليها شعاع المصباح رأى هيئات غامضة تتحرك، ومن خلال العتمة استطاع تمييز«فزر» ، و«وسلي» ، و«تومو» .
قفز «زافر»من مكانه بفرح ، اقترب الثلاثة منه، سلم «فزر»عليه بحذر وسأله بهمس :
ـ«أين الرجال؟»
كان «زافر مصدوماً بسبب الفرحة حتى إنه لم يستطيع التفكير:
ـ«لقد رحلوا، هل الشرطة هنا؟ يجب إحضارهم حالاً! سيشعلون النار في المنطقة!كيف عثرتم علي؟ يجب أن نخرج من هنا بسرعة
فزر: «ذهبت «بام»لتتصل بالشرطة، سيحضرون بعد قليل وسلي: «هيابنا! لانريد أن يمسكو بنا . »
زافر: «يجب أن تقطع الحبل لتحررني . »

فزر: «ليس لدينا سكين» .
جلب تومو كرسياً وقال: «أمسكو بالكرسي كي أصعد عليه هيّا!ليس لدينا وقت . »
أمسك الأطفال بالكرسي في حين صعد تومو ليفك عقد الحبل وبعد محاولات عديدة سقط الحبل ووقف «زافر» مراً .
تجمدت الدماء في عروقهم عندما سمعوا صوت باب حجرة السخان وهي يفتح ويرتطم بالحائط ، دخل جونسي
وعندما شاهد المجموعة ، وقف في مكانه ثم صرخ :
ـ«من أين جئتم؟»
وفجأة، سار الى الأمام أمسك «بفزر»من شعره بيد وأمسك بعصا في اليد الاخرى . هز «جونسي»رأس «فزر»ولوح بالعصا مهدداً بالضرب حتى الموت .
ـ «هيا انطق ، كيف دخلت الى هنا؟»
وقبل أن ينطق بأي شي سمعوا أصواتاً اتيه من حجرة السخان ثم دخل ذو اللحية الحمراء ، وذو القبعة الصوفية يتبعهما رجال الشرطة .
لمح «فزر»وجه والده ، ويداه تمتدان الى رقبة ذي اللحية

الحمراء ، فتذكر ماكان يحيره بشأن ذلك الرجل الذي رآه عند بداية المدرسة إذكان هو الرجل الذي رمى الطابوقة على والده .

بعدها سمعوا صوت انفجار، وجعلتهم الصدمة يرتمون على الأرض لكن الذعر جعلهم يقفون مره أخرى على أقدامهم في رعب . لقد سدت النار عليهم طريق الخروج من حجرة السخان وأدرك «فزر»أن والده والمجرمين إما قد احترقوا بالنار أوانهم خلفها .

حتى هذه الأفكار المرعبة تلاشت بسبب ذعر آخر، وهو لهيب من النار يشتعل بسرعة على الأرض ، ويسير أمامهم حتى وصل الى السجادة المتشبعة بالبنزين فاحترقت واحترق ورق المرافق ، والقمامة لتسد عليهم بذلك الطريق الذي جاءوا منه والان سدت النار الطريقين .

سمعوا صوت «جونسي»يقول وهو يشير نحو الطريق الذي نزلوا منه : «من هنا! يجب أن تهربوا من هنا ،لايوجد طريق آخر فالنار لن تخمد»

وقفوا في أماكنهم مترددين ، فصرخ «جونسي»مرة أخرى : «أيها الاغبياء ، هل تريدون الموت؟»

لم يكن باستطاعتهم مشاهدة ماوراء اللهيب والى أي

مسافة يمتد سيركضون الى موت مرعب ومع ذلك ظلوا في أماكنهم ، فالذعر قد شل أفكارهم ، وأرجلهم تقدم «جونسي»ووجهه محمر حمل «تومو» بيد و«وسلي»باليد الاخرى وكأنهم بضاعة للشحن وصرخ :

-«لاتخافوا ،سأعود حالا»واختفى في اللهيب نظر «فزر»الى «زافر»الذي أصبح لون وجهه رمادياً من الخوف ، وأدرك أنه يبدو كذلك لنفس السبب تسللت النار أقرب ، وبدا لهما أنّ الموت احتراقاً هو طريقة فظيعة ، هذا إذا لم يموتوا اختناقاً بالدخان فقد كانوا يسعلون بشدة .

ظهر «جونسي»بأعجوبة من خلال اللهيب وشعره يحترق وكان يحاول إطفاءه بيديه ،وكانت ملابسه على وشك الاحتراق

- «هيا! بسرعة فالمكان ليس بعيداً غطيا وجهيكما بأي شيء اكبحا أنفاسكما والتقطهما «جونسي»بسرعة شعر «فزر»بحرارة اللهيب ، وشعر بالاحتراق في يديه وحول كاحليه ، وسمع صوت تصاعد اللهيب ثم اختفى الصوت ، إذكانوا قد عبروالنار. كان «تومو» و«وسلي » على الأرض قد غطيا وجهيهما بمناديل لتحميهما من الحرارة والدخان .

وكان «جونسي»يضرب بيديه على البنطلون ليطفىء النار

أماحاجباه فكانا قد اختفا نهائياً وكان على وجهه وصلعته بقع حمر كبيرة.

قال «جونسي» بنفاذ صبر: «هيا اخرجوا من هنا! من الطريق نفسه الذي نزلتم منه، فهو الملاذ الوحيد كانوا يسعلون من الاختناق وذهبو الى المكان الذي يتدلى منه الحبل كانت «بام» تنظر من فتحة الحاجز المشبك وقالت: «ماذا حدث؟ إني أشم رائحة حريق:

قال «جونسي للأولاد: «لاتضيعو الوقت، افعلوا كما أقول لكم والا فسنحترق جميعاً»

انحنى «جونسي» وشبك أصابعه ليتمكن الأولاد من وضع أقدامهم عليها والصعود فأمر «تومو» قائلاً:

-«قف على يدي، وعندما أرفعك، أمسك بالحبل من أعلى مسافة ممكنة، هيا أسرع!»

بدفعة من «جونسي» وسحبه من الحبل وجد «تومو» رأسه عند فتحة الحاجز المشبك أمسكت «بام»

به من كتفيه لمساعدته على الوصول إلى الصف وبالحركة نفسها وصل فزر، وهو يلهث من الاختناق، وتبعه «وسلي» و«زافر» استلقوا على الأرض وهم يسعلون ويلهثون سألته «بام» بشوق: «هل أنتم على مايرام؟»

سمعوا حركة في الحاجز المشبك، وسمعو صوت «جونسي» يقول: «ساعدوني!» نهض الاولاد، وأمسكو برأس «جونسي وكتفيه، كان رأسه وسخاً وأحمر وتنبعث منه رائحة احتراق ثم أمسكو بسترته، وحاولوا سحبه، لكنه قال:

-«لاأستطيع الحركة، لقد انحشرت»

انحشر «جونسي» في فتحة الحاجز المشبك بسبب ردفه الكبير.

فتح باب الصف بسرعة ودخل رجال الشرطة ورجال إالاطفاء. والان انتهت مشاكلهم. فقد استطاع الاطفاء سحب «جونسي» من خلال الفتحة. وسقط على الأرض، ليلتقط أنفاسه. كان رأسه مليئاً بالحروق، واختفى شعره تماماً، واحترقت يداه، أما ملابسه فقد احترقت، واختفى جزء كبير من بنطلونه. ثم أخذه رجال الشرطة بهدوء الى خارج البناية وغادر الأولاد أيضاً.

وفي ساحة المدرسة ذهل الاولاد بما رأوه. كانت الساحة تشع بالأضوية وأن الوقت نهار وكانت مليئة بسيارات النجدة ورجال الشرطة. وكان شارع «بورشيا» يعج بالناس وسمع الأولاد اصواتهم وأدركوا أنها صيحات الفرح.

رأى «فزر»ذا اللحية الحمراء والقيود في يديه ، وهو يدخل سيارة الشرطة ، ووالده معه وهو يبتسم حمد«فزر»الله على سلامة والده.

وقف الأولاد ، وأولياء أمورهم من حولهم ، بعضهم يبكي والبعض الاخريضحك. رأى «فزر»زافراً وهو يختفي بين حشد من الناس ليذهب الى والديه. و«وسلي» احتضنته أمه وهي ترتدي زي محصل باص المصلحة. ومدت والدة «تومو»ذراعيها لتحتضن ولدها. وكانت هناك امرأة شقراء تقبل «بام».

شعر «فزر»بيد والده على كتفه ثم أمسكت به والدته لتقبله، وكأنها لم تره منذ سنين واسوأ مافي الامر هو انها كانت تقبله أمام الجميع. وتمنى الايكون أحد قد راهم ولم تعلق والدته بشي على ملابسه المتسخة.

تجمع الاهالي والأولاد لتنقلهم سيارات الشرطة ومن بين أصوات الضحك والدموع علم «فزر»أن المدرسة لم تنهدم فالطابوق السميك والقوي وقي المدرسة من الانهيار. لذلك ستفتح المدرسة أبوابها كالمعتاد. فقال «فزر»: «حظ سيء»

وبعد تفكير اقتنع بضرورة الذهاب إلى المدرسة ليروي

للصف ماحدث. وكان متشوقا لرؤية وجه مدرسة الروضة وهي تسمع ما حدث لصفها.

تقدم الأولاد نحو«بام» ليسمعوا ماتريد قوله:

ـ«كنت على حق ـ العزيزة كانت على حق. لقد قلت لكم مرار إن «زافر»قد اختطف»

تومو: «جونسي»العجوز..»

زافر: «إن أمر جونسي»مضحك كاد يقتلني لكنه كان الشخص الذي أنقذني»

فزر: «لقد كان يكرهنا بشدة»

لم يعرف «فزر»ما يفكر فيه الان كان «جونسي والاطفال على خلاف دائم وكانوا دوماً أعداء ألداء فكر في «جونسي»وهو يعاني من الحروق، وملابسه ممزقة وقال بصوت عال ليسمعه الاخرون:

ـ«أشعر بالاسف تجاه «جونسي».

سلسلة

روايات عالمية للفتيان

لعشرات من السنين كانت تسيطر على سوق الكتاب مجموعة كبيرة من الروايات الموجهة للفتيان يغلب عليها طابع التسلية والمغامرة الطائشة والعلاقات غير المنتمية اضافة الى قيام الناشرين باختصار الروايات المترجمة وتقديمها بشكل مشوه خالٍ من اسلوب الكاتب، فقد كانوا يعتمدون على مايحمله النص من احداث مشوقة ومغامرات سريعة. انها روايات لاتمت الى الاصل بصلة.
لذلك بادرت دار ثقافة الاطفال الى سد هذه الثغرة من خلال قيامها بترجمة عدد كبير من الروايات العالمية الموجهة اصلاً للفتيان، رغبة منها في خلق مناخ ثقافي صحي لهذه الشريحة المؤثرة في تركيبة المجتمع ووعية.

الناشر

التسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم المترجم
	بينوكيو		محمد هيثم احمد كمال
	البيضة الهائلة	أوليفر بيتر وورث	رياض العطار
	رغد والسحابة	صوفيا بر وكوفين	عزة كبة
	عائلة روبنسون السويسرية	جي أيم باري	شفيق مهدي
	الحديقة السرية	فرنسيس هوجر	كاظم سعد الدين
	بيتر بان	جي أيم باري	شفيق مهدي
	المدينة من ذهب ورصاص	جون كرستوفر	عبدالمقصود محمد
	القرعة السحرية	شانج تيام بي	لمياء كبة
	أطفال القطار	إي نسبيت	مجيد ياسين
	نساء صغيرات ج١ ج٢	لويزا أم الكوت	نمير عباس
	مغامرات الكابتن رنجل	أندريه نكرا سوف	أنغام عبدالكريم
	الباحثون عن الكنز	أيديث نيسيت	مجيد ياسين
	لاسي	أريك نايت	شفيق مهدي

مذكرات حمار	الكونتيسة دي سيجور	محمد هيثم أحمد كمال
الخنفساء الذهبية	أدجار ألن بو	صلاح محمد علي
الأمير والفقير	مارك توين	كاظم سعد الدين
جزيرة الكنز	روبرت لويس ستيفنست	نمير عباس
مغامرات فوق الجزيرة ج١ ج٢	أرثر رانسم	خالد عبدالباقي
متاعب صوفي	الكونتيسة دي سيفور	ألياس حداد
الأدهم الجميل	أنا سيويل	شفيق مهدي
الأمير الصغير	أنطوان ديسانت أكسوبيل	عبدالاله سياحي
صانعو الدمى الثلاثة	أورسولا لاموراي وليامز	أمل منصور
جزيرة الدلافين الزرق	سكوت أدويل	مروان أبراهيم صديق
الهارب وقصص أخرى	سارا وستيفن كورت	نعيم بدوي
الكنار المسحور	مجموعة قصص	رياض العطار
شي يان عام ٦١١٢	وليم كامو	مها محمد

السفينة المعجزة	جول ڤيرن	هنري زغيب
أمير الأدغال ج١ ج٢	رينيه غيبو	خالد عبدالباقي
رحلة في شارع النعناع	مايندرت دي يونك	كاظم سعد الدين
ذهب التايكا	فرانتز برايهان	كوكب علاء
مطاردة ذئاب ولوباي	جون أيكن	أيناس أحسان
تحت ظلال الشيطان	مارك فلامنت	نوفل محمد
الساحر أوز	فرانك باوم	عصام رجب
أطفال مزرعة الصفصاف	أنيد بلايتون	نعيم بدوي
وقت الأحلام	هنري تريس	سها أحمد
الفارس الصغير	أديت سي كينيون	ستار زيارة
سر الممر	مالكولم سفيل	أيمان عادل
فتاة الذئاب	جين كريكهيد جورج	شفيق مهدي
الجبال البيض	—	نيران أسماعيل
جبل بلا أسم	—	—
قصر الكاربات	—	ألياس حداد

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٣٥) لسنة ١٩٩١

دار الحرية للطباعة
بغداد

وزارة الثقافة والاعلام

دار ثقافة الاطفال

قسم النشر

السعر: دينار واحد

دار الحرية للطباعة
بغداد